

جامعة عمار ثليجي
كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية والحضارة
قسم التاريخ



العنوان:

التجارة ودورها في تطور ممالك اليمن القديم
من القرن (10 ق.م) - إلى القرن (1م)

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في: التاريخ

تخصص: تاريخ الحضارات القديمة

تحت إشراف الأستاذة:

إعداد الطالبين:

- سويقات ربيعة

- عطية وسيلة

- رقارقي هجيرة

السنة الجامعية: 2017/2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

- إلى روح أبي الطاهرة أهدي ثمرة جهدي راجية من المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته
ويسكنه فسيح جناته .

- إلى أمي الغالية أدامها الله تاجا فوق رؤوسنا .

- إلى جدتي الغالية أطال الله في عمرها.

- إلى زوجي الذي رافقني في أدق تفاصيل هذا العمل.

- وإلى كل أفراد العائلة صغيرهم وكبيرهم.

هبة

إهداء

- إلى روح أبي الطاهرة أهدي ثمرة جهدي راحية من المولى عز وجل أن يتغمده بواسع رحمته

ويسكنه فسيح جناته .

- إلى أمي الغالية أدامها الله تاجا فوق رؤوسنا .

- إلى ابني أخلص ما في الوجود .

- إلى زوجي الذي رافقني في أدق تفاصيل هذا العمل.

- وإلى كل أفراد العائلة صغيرهم وكبيرهم.

وسيلة

مقدمة

- فيما كانت شمس الممالك تشرق، معلنة دخول المنطقة فجر عصر جديد، كانت التجارة قد بلغت العنان، كالأشعة التي تشق الأفق، صاعدة إلى السماء، لتبتد سواد الليل قبل طلوع الشمس.
- حينما بدأت شعوب جنوب الجزيرة العربية وقبائلها تتقارب، لتشكل اتحاداتها على طريق قيام الممالك، وجدت في التجارة الوسيلة المثلى التي نهضت بها وانطلقت في رحلة إثبات الذات بين أمم لم تسبقها ظهور فحسب بل وحضارة وتقدما فما كان من التجارة إلا أن شقت بالممالك الصفوف نحو المقدمة ووضعت لها اسس بقائها بين الحضارات المتقدمة، فما لبثت أن وضعها التاريخ تحت دائرة أضوائه البراقة، وراحت الأبصار تشخص نحوها أملا وطمعا، أملا بالبقاء تحت راية تجارتها الخفاقة، وطمعا في السيطرة على مصادر ثرواتها الدفاقة.
- ظهر تأثير التجارة على ممالك اليمن القديمة منذ نشأتها الأولى، إذ شكلت أساسا مهما لقيامها، ورافقت نموها وازدهارها، وكانت سببا في ثرائها وتعدد مصادرها، ليس هذا فحسب، بل أدت دورا مهما في تحديد شكل العلاقة التي نشأت بين الممالك في زمن قوتها وازدهارها، فمن أجل التجارة كانت الممالك تتعايش بسلام، وبسبب التجارة كانت تضطر الى خوض الحروب.
- إذا فالى أي مدى ساهمت التجارة في قيام وازدهار ممالك اليمن القديمة ؟ وكيف كان علاقة التأثير والتأثر بين الممالك والنشاط التجاري ؟
- تتناول الدراسة موضوع علاقة التجارة بممالك اليمن القديمة في تسلسل تاريخي يبدأ منذ قيام الممالك حتى سقوطها وأفول حضارتها قبيل دخول الإسلام جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن)، غير أن الضرورة دعت الى التطرق الى نشأة التجارة في العالم القديم، وكذا نشأتها في جنوب شبه الجزيرة العربية، وذلك لمعرفة الأسباب الحقيقية التي جعلت من

- التجارة أساسا مهما لقيام الممالك في هذه المنطقة، بينما قامت الممالك في مناطق العالم القديم الأخرى على أسس مغايرة.
- وقد جاء اختيارنا لهذا الموضوع من عمق إدراكنا بأهمية التجارة ومكانتها في صياغة تاريخ الممالك اليمنية القديمة، كونها كانت سبب ازدهارها وشهرتها، كما أن التجارة مفتاح سر العلاقات التي نشأت بين الممالك من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت سببا للعلاقات بينها وبين العالم الخارجي، بالإضافة إلى أن التاريخ الحضاري لليمن القديم لم ينل حقه من الدراسة بالمقارنة مع التاريخ السياسي.
- وقد تم الاعتماد في هذه الدراسة التاريخية على المنهج الوصفي التاريخي حيث تم ترتيب الأحداث ترتيبا تاريخيا ضمن تسلسل زمني صعودا من الأقدم فالأحدث.
- ولقد كان هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع التجارة وتأثيرها في ممالك اليمن القديم، ولكن كان ذلك في ظل دراسات شاملة وغير متخصصة في الموضوع بحد ذاته، وأهم ما تم اعتماده في هذه الدراسة التي بين أيدينا المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي خاصة في الجانب السياسي والاقتصادي، أما في الجانب الحضاري فقد اعتمدنا دراسات في التاريخ الحضاري لليمن للدكتورة اسمهان الجرو، تاريخ اليمن القديم للدكتور عبدالله بافقيه.
- ولتسهيل دراسة الموضوع تم وضع خطة بحث مكونة من أربعة فصول :
- * **الفصل الأول: أهمية البيئة الجغرافية في تجارة ممالك اليمن القديم، تم التطرق إلى** ما قدمته البيئة الجغرافية بخصائصها المختلفة، من إمكانيات طبيعية ساعدت على القيام بالتجارة في جنوب شبه الجزيرة العربية، ثم ما هيأته لممالك اليمن القديم من ظروف جعلتها تتمتع بدور ريادي في التجارة الدولية كما تطرقنا فيه إلى الإطار التاريخي لممالك اليمن القديم.

* **الفصل الثاني: الوضع التجاري في ممالك اليمن القديم، تطرقنا في المبحث الأول**

الى الطرق البرية الداخلية والخارجية أي طرق القوافل أما المبحث الثاني فقد كان حول الملاحة البحرية و يليه المبحث الثالث الذي يتكلم عن العلاقات الخارجية لليمن مع العالم القديم وأخيرا المبحث الرابع تطرقنا فيه إلى المبادلات التجارية.

* **الفصل الثالث: أثر ودور التجارة في ازدهار ممالك اليمن القديمة، تم تقسيمه الى**

خمس مباحث تناولت تأثيرات التجارة على أوضاع الممالك على النحو التالي: المبحث الأول ناقش تأثير التجارة على العلاقة السياسية التي نشأت بين الممالك، بينما المبحث الثاني تناول تأثير التجارة على الأنشطة الاقتصادية في الممالك مؤكدا ريادة النشاط التجاري في ازدهارها، اما المبحث الثالث فقد تطرق للتأثيرات التي ظهرت على الوضع الاجتماعي في الممالك جراء ازدهار التجارة، تكفلت إحدى نقاطه بالحديث عن وضع المرأة ومكانتها في ظل الازدهار، وفي المبحث الرابع كان الدين حاضرا بغرض معرفة تأثير التجارة عليه، أما المبحث الأخير فقد تم تخصيصه للحديث عن دور الممالك في تقدم التجارة وازدهارها.

* **الفصل الرابع: التجارة وسقوط ممالك اليمن القديم، درس عوامل سقوط الممالك، التي لم**

تبتعد عن النشاط التجاري، وتم تناولها في مبحثين: الأول تطرق للعمل الخارجي، متناولا انتعاش التجارة وتراجع التجارة على الطرق البرية، في حين تناول المبحث الأخير العامل الداخلي مناقشا موقف الممالك من الصراع الدولي بين قوى الشرق والغرب، وكذا الصراعات الداخلية التي تفجرت بينهما، وكانت إحدى الأسباب التي جلبت التدخلات الاجنبية.

- وقد واجهتنا بعض الصعوبات المتمثلة في قلة المصادر التي تلقي الضوء على الجانب الحضاري لممالك اليمن القديم وخاصة التجارة بالإضافة الى طول الفترة الزمنية التي تخص موضوع الدراسة.

- وفي الاخير نتمنى أن نكون قد أزلنا بعض الغموض عن مجال التجارة وتأثيرها في نشأة وازدهار ممالك اليمن القديم في هذه الدراسة المتواضعة.

الفصل الأول: أهمية البيئة الجغرافية في تجارة ممالك اليمن القديم.

- (1) أصل تسمية اليمن.
- (2) موقع اليمن.
- (3) التضاريس.
- (4) التنوع المناخي.
- (5) الإطار التاريخي لممالك اليمن القديم.

1- أصل تسمية اليمن:

- اختلف المؤرخون منذ القدم حول أصل تسمية اليمن ، فمنهم من يرى أنها جاءت من صفة البلاد والبعض الآخرين يرى أنها سميت نسبة إلى الموقع كما نجدها مذكورة بتسميات أخرى غير التي ذكرناها وسنعرض فيما يلي أهم الآراء:
- عرفت اليمن منذ القدم بالعربية السعيدة وقد اشتق اسمها من "اليمن" وهو الرخاء والبركة¹، اللذان عرفتهما اليمن بفعل الزراعة واحتكار انتاج البخور "اللبان"² ، وقد أطلق عليها اليمنيون القدماء "اليمن الخضراء" لاختضار جبالها وكثرة أشجارها وثمارها، وفواكهها و زرعوها وإدراج خيراتها وقال أحد شعرائهم فيها وهو ذو الكلاع:

هي الخضر فانظر في رباها ** يخبرك اليقين المخبرونا
وتمطرها المهين في زمان ** به كل البرية يضمئونا
و في أجبالها عزّ وغزير ** يظلّ لها الورى متقاصرينا
و أشجار منـورة وزروع ** و فاكهة تروق الناظرينا³.

¹ أحمد حسن شرف الدين، اليمن عبر التاريخ من ق14م. الى ق20م-دراسة جغرافية تاريخية سياسية شاملة، ط2، مطبعة السنة المحمدية، (د.ت)، ص10.

² عبد الله عبد القادر نعمان وعبد البارى القدسي، المنشآت المائية وأنظمة الري في الحضارة اليمنية القديمة،

³ محمد بن علي الأكوخ الحوالي، اليمن الخضراء مهد الحضارة، ط2، مكتبة الجيل الجديد، (د. م. ن)، 1982م، ص33.

ويرى حلمي محروس " أن اسمها مشتق من يمنات¹ وتعني الخير والبركة فقد عرفت منذ القدم بكثرة مزارعها ونخيلها وأشجارها وثمارها وقد أشار الى ذلك القرآن الكريم².

قال الله تعالى: [لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّاتٍ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۚ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (15)]³.

- وقد ذكر الهمداني " أيضا أن صفة اليمن الخضراء " لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها⁴.

كما أن أغلب المؤرخون الكلاسيكيون يطلقون تسمية العربية السعيدة على اليمن بفعل وفرة مواردها الزراعية والتجارية⁵.

- ونجدها أيضا في كتابات اليونان والرومان باسم بالات العرب السعيدة " النفس السبب الذي سبق ذكره وهو خصوبة أرضها واختلاف مناخه عن مناخ الجزيرة العربية⁶.

وهناك من يخالف الآراء السابقة، وهم أصحاب الرأي الذي يقول أن تسمية اليمن مشتقة صفتها وإنما من موقعها.

¹ يمنات: منطقة صغيرة ذكرت في نص يعود عهده الى ايام الملك شمريهرشع " أنظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ط2، جامعة بغداد، (د.م.ن)، 1993م، ص170.

² حلمي محروس إسماعيل، الشرق العربي القديم وحضارته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م، ص190.

³ سورة سبأ، الآية رقم: 15.

⁴ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج8، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص 522.

⁵ محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، دار النفائس، بيروت، 2009م، ص21.

⁶ محمد بن علي الاكوع الحوالي، المرجع السابق، ص190.

- فيرى حلمي محروس " أنها سميت هكذا لأنها تقع على يمين الكعبة¹.
- ويقول ياقوت الحموي: (يقال أنّ الناس كثروا بمكة فلم تحملهم فالتأمت بنو يمن الى اليمن وهي أيمن الأرض فسميت بذلك) ثم انتقد هذا الرأي قائلاً: "قلت قولهم تيامن الناس فسموا اليمن، فيه نظر لأن الكعبة مربعة فلا يمين لها ولا يسار فإذا كان اليمن عن يمين قوم كانتا عن يسار آخرين وكذلك الجهات الاربع إلا أن يريد بذلك من يستقبل الركن اليماني فإنه أرجلها فإذا يصح والله أعلم².
- أما البكري "فيرى أن التسمية جاءت قبل ان تعرف الكعبة، لأنه عن يمين الشمس قال يعرب بن قحطان:

أنا ابن قحطان الهمام الأفضل

وذو البيان واللسان الأسهل

نفرت والـمة في تبايل

نحو يمين الشمس في تمهل

وكننت منهم ذا الرعيل الأول³.

¹ حلمي محروس، المرجع سابق، ص190.

² ياقوت الحموي، المرجع سابق، ص522.

³ عبد الله بن عبد العزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج4، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ص14.

- وقد ذكر البكري أن البعض ينسب تسمية اليمن الى تيمن بن قحطان¹ ، أو قد تكون نسبة الى أيمن ابن الهميسع بن حمير " وقد جاء ذكره في النقوش بلفظ يمنات².
- ونجد أيضا عدة تسميات أخرى فنجدها في الثورات الأرض الغنية" وعند قدماء المصريين الأرض المقدسة"، ويقال لها أيضا اليمن مهد الحضارة القديمة، وأسمائها بعض المشرقيين بلاد الغرائب"، وبلاد القصور " كما أسمائها الإخباريون وبلاد الطيب"، كما أسمائها سترابون³.

II- موقع اليمن:

- تقع اليمن فلكيا في قلب العروض المدارية، في الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية، وادنى امتداد لها جنوبا يقع في دائرة العرض (12°) شمالا، كما تمتد أراضيها باتجاه الشمال حتى دائرة العرض (19°) شمالا وتتحسر بين خطي الطول (30-41°) شرقا (10-53°) شرقا تقريبا⁴
- اختلف المؤرخون فيما يتناوله مدلول اليمن وحدودها ، فالليونانيون عندما يذكرون اليمن أو العربية السعيدة"، يعنون بها تقريبا بالجزيرة العربية .

¹ عبدالله بن عبد العزيز البكري، المرجع سابق، ص14.

² محمد بن علي الاكوع الحوالي، المرجع سابق، ص33.

³ نفسه، ص34.

⁴ عوض ابراهيم عبدالرحمان الحفيان، الجغرافيا العامة للجمهورية اليمنية (عوامل التباين والتآلف في البيئة اليمنية)، جامعة صنعاء، 2004م، ص15.

- وهناك من يقصد من اليمن المنطقة التي تضمّ عسير¹، والمخلاف السلماي "شمالاً وخليج عدن والبحر العربي جنوباً ولايعدّ حضرموت وعمان من اليمن.
 - وظهر أخيراً خلال الاحتلال البريطاني لمنطقة عدن من حاول أن يقصر اليمن على القسم المتوسط من الشطر الجنوبي للجزيرة العربية فيحدد اليمن" من الشمال بعسير ومن الجنوب بخليج والمحميات الشرقية وهذا ما روجته بريطانيا خلال احتلالها لجنوب اليمن الذي أطلقت عليه اسم الجنوب الغربي".
 - ويرى كثير المؤرخون العرب وكل من عرف بالتاريخ بعيداً عن التيار السياسي أنّ اليمن هو الشطر الجنوبي من الجزيرة لما فيها حضرموت" وعمان ومشيدات جنوب الخليج الفارسي ومكة المكرمة فيحدون اليمن غرباً بالبحر الاحمر وشرقاً بخليج عدن وجنوب خليج فارس وجنوباً بخليج عدن والبحر الغربي والمحيط الهندي وشمالاً بنجد".
 - وأدق ما تحدد به اليمن الطبيعية من الشمال المدار الشمالي المار بمحاذاة رأس يرمس" ما بين رابع وبنبع" فهذا الذهب فيررين ثم ينحني الحدّ نحو الشمال متجاوزاً خط المدار الشمالي، ثم ينحني الحد في تعريج نحو الشرق الى البحرين وقطر على شاطئ الخليج الفارسي.
 - وعلى هذا فاليمن الطبيعية كما يلي مساحة واقسام:
- مساحة اليمن الطبيعية لا تقل عن: 9000.000 ميل مربع، وهي تتناول اليوم الاقسام التالية¹:
- منطقة عمان بما فيها سلطنة مسقط وقطر والبحرين والمشيدات بين البحرين وعمان، وهي رأس الخيمة والشارقة ودبي وابوظبي"، وأم الكراين ولا تقل مساحتها عن مائة ألف ميل مربع.

¹ فرتزهومل، التاريخ العربي القديم، تر: فؤاد حسين علي، دار النهضة، القاهرة، 1958م، ص56.

- * الجنوب اليمني ومساحته لا تقل عن ربع مليون.
- * منطقة عسير ونجران وجيزان وما بشمالها الى خط المدار الشمالي بما فيه مكة المكرمة ورابع لا تقل مساحتها عن مائتي ألف ميل مربع.
- * الربع الخالي: لا تقل مساحته عن ربع مليون ميل مربع.
- الجمهورية العربية اليمنية" وتقدر مساحتها بخمسة وسبعين ألف ميل مربع"
- وموقع اليمن يتاخم معظم جزيرة العرب فيحده من الشمال نجد الى البحر الغربي جنوباً²، ونجد القلزم الأحمر، غربا وتتصل من الشرق بحضرموت وعمان، وتقع في الركن الجنوبي الغربي، لجزيرة العرب، وكان القدماء يطلقون عليها اسم الأرض الخضراء ويحمل الهمذاني أقوال الإخباريين من العرب عن أقسام جزيرة العرب بقولهم "فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوا وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب في أشعارها وأخبارها تهامة الحجاز، نجد، العروض، اليمن³.
- وأشار جواد علي" في مؤلفاته على أن النصوص العربية القديمة لم تعطي حدود ثابتة لليمن، إلا أن الحدود التي حددها العلماء على أنها تمتد وراء تلتين وما قاربها الى صنعاء وما والاها الى حضرموت" والشحر وعمان إلى عدن⁴.

¹ القاضي عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشمالي، اليمن الإنسان والحضارة، ط3، بيروت، 1958م، ص27-29.

² زيد علي عنان، تاريخ حضارة اليمن القديم، المطبعة السلفية ومكتبتها، (د.م.ن)، 1396هـ، ص10.

³ محمود عرفه محمود، العرب قبل الاسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 1995م، ص18.

⁴ جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص171.

III- التضاريس: تنقسم تضاريس اليمن الى اربعة اقسام تتطوي تحت كل منها أقسام ثانوية فيتكون السطح من:

(1) السهول الساحلية:

- تنوع السهول الساحلية في اتجاهين الجنوب والغرب السهول الساحلية الجنوبية تمتد حتى ظفار في عمان اليوم، وتستقبل أودية مهمة تقطع مناطق واسعة في أراضي جنوب شبه الجزيرة العربية، وهي تلك الاودية التي قامت على امتدادها أنشطة زراعية، وفرت عوامل الاستقرار وقامت على حوافها بعض المدن التي كان لها دورا في التجارة حينها-ميفة على سبيل المثال¹ وأهمها تبين وينا، أحور، ميفة، حجر ، المسيلة، لوجزع².

- قامت على السهول الساحلية الجنوبية موانئ وتاريخية أدت دورا بارزا في عبور التجارات بين الشرق والغرب، حيث شكلت بدايات للطرق التجارية البرية التي تقطع شبه الجزيرة العربية، من الجنوب الى الشمال، ثم أصبحت محطات تجارية كبرى، وأسواق رائجة، ومخازن تتجمع فيها مختلف أنواع البضائع والسلع³.

- كما أنها تعد البوابات الاولى للعلاقات المختلفة التي نشأت بين اليمن والاقاليم المجاورة وراء البحار، كنتيجة للنشاط التجاري، باعتباره الممر التي عبرت من خلاله هذا السهل الساحلي هي : عدن، وقنا" وسمهر سمهرم/ خورروي اليوم .

¹ اسمهان سعيد الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، الاردن، 1996م، ص123-124.

² عيروس علوي بلفقيه، جغرافية الجمهورية اليمنية، سلسلة الكتاب الجامعي 3، ط1، جامعة عدن، 1997م، ص43-60.

³ عبد الله حسن الشبيبة، أقول الحضارة اليمنية ملاحظات أولية، مجلة بحوث جامعة تعز، العدد:2، 1998م، ص6-7.

- أما السهول الساحلية الغربية: فهي منطقة ساحلية تتخللها أراضي صالحة للزراعة، تهيأت بفعل عمليات الارساب الطيني والرملي الذي تحدث بسبب السيول والمجاري المائية المنحدرة، من المرتفعات الغربية، حيث تسيل باتجاهها أودية تاريخية مهمة هي: مور، سرود، سهام، رماع، زبيد، نخلة، رسيان¹، موزع كما ظهر عليها واحد من أهم الموانئ القديمة هو ميناء موزع موشج²، الذي ازداد نشاطه التجاري مع ارتفاع وتيرة التجارة البحرية في العهد الروماني³.

(2) المرتفعات:

- تشغل المرتفعات أجزاء واسعة من أراض اليمن، وتمتد في اتجاهات مختلفة، فالمرتفعات الغربية تنصب موازية لساحل البحر الاحمر الشرقي، بينما المرتفعات الجنوبية تمتد من أقصى الجنوب الغربي، باتجاه الشرق وتوازي بحر العرب⁴، أما المناطق الجبلية الاوسط الجبال الوسطى"، فيرتفع من صعدة شمالاً حتى الضالع جنوباً، وبه أعلى مرتفعات اليمن، بينما الجبال الشرقية لليمن تمتد من الشمال الى الجنوب، يحدها من الشرق صحراء رملة السبعيتين ومن

¹ الهمذاني الحسن بن أحمد بن يعقوب، منفذ جزيرة العرب، تح: محمد بن علي بن الحسن الأكوخ، مكتبة الكاتب العربي، الرياض، 1979م، ص90.

² نيقولا زيادة، دليل البحر الأبيض تجارة الجزيرة العربية في كتاب تاريخ الجزيرة العربية للكتاب الثاني الجزيرة العربية قبل الاسلام، جامعة الملك سعود، الرياض، 1984م، ص270.

³ عبد الغني محمد السيد، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1999م، ص181-182.

⁴ جودة حسين جودة، شبه الجزيرة العربية دراسة في الجغرافية الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص152.

الغرب سلسلة الجبال الوسطى، وهي عبارة عن جبال وعرة تتحدر تدريجياً نحو الشرق باتجاه الربع الخالي¹.

- أهمية هذه المرتفعات تبرز في تأثيرها على عدد من الظواهر الجغرافية التي تميزت بها اليمن والتي انعكست نتائجها على حياة الناس وأنشطتهم المختلفة بما في ذلك النشاط التجاري ويمكن الوقوف على هذا تأثير من خلال الآتي:

- تتلقى معظم جبال اليمن كميات كافية من الأمطار²، تتراوح ما بين 200 الى 1000 ملم، لاسيما في موسمي الأمطار الجنوبية الرئيسيين يوليو سبتمبر"، ومارس ومايو" بتأثير الرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تصطدم بالمرتفعات مفرغة ما تحمله من أمطار عليها، وللحفاظ على هذه المياه وتوجيهها وتخزينها اتجه الانسان الى بناء الحواجز والسدود، والصهاريج فتطلب الأمر توفر سلطة موجهة، وموار مادية كما وجب عليهم التحلي بروح التعاون والعمل الجماعي.

- تتساقب السيول من هذه المرتفعات في اتجاهات مختلفة، مكونة أودية مهمة ساهمت في قيام ما يعرف بالزراعة المروية من ناحية وكذلك قيام الحضارة العمرانية لممالك اليمن القديمة، على امتداد بعضها من ناحية أخرى، بدليل تركز وأهم مدنها على حواف أهم الأودية التاريخية، مأرب على وادي ننة" تمنع على وادي بيجان" شبوة على وادي عرمة، قرنا وعلي وادي مذاب³

¹ عيدروس علوي بلفقيه ، المرجع السابق، ص51-55.

² أبو العلاء محمود طه، جغرافية الجزيرة العربية، ج1، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص11.

³ عيدروس علوي بلفقيه ، المرجع السابق، ص102.

ومسور على وادي مرخة¹.

- نزول الامطار بكثافة على المرتفعات يؤدي الى انحدار السيول بقوة حاملة معها تربة ينوعية خاصة بركانية خصبة"، تستقر في واحات الوديان والمنخفضات² وبوجود الماء والتربة الخصبة قامت زراعة متميزة في هذه المناطق، رفدت النشاط التجاري بالكثير من المواد المتداولة في العملية التجارية.

- تتخلل المرتفعات والقمم الجبلية والوديان لاسيما في النطاق الجبلي الأوسط مجموعة من الأحواض الواسعة، التي تعدّ من أخصب مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية، ذات تربة صلصالية غنية وغنية أيضا بمياه الأمطار والمياه الجوفية³؛ مما يجعلها صالحة للزراعة طوال العام.

- رغم أن الإنسان ابن بيئته إلا أنه الانسان في المرتفعات الوسطى والغربية تتمكن من تحويل طبيعتها الجبلية الى مسطحات زراعية على هيئة مدرجات منبسطة على جوانبها محتفظاً فيها بجزء من الأمطار الساقطة على التربة من الانجراف ، خالقا بذلك بيئة زراعية جديدة فزادت مساحة الأراضي الصالحة للزراعة، في عملية ينذر أن تجد لها نظير في مناطق العالم القديم طبيعة البيئة الجبلية دفعت الفكر الإنساني هناك الى الابتكار والمثابرة للسيطرة على هذه البيئة والتعايش معها، والافادة منها من خلال إقامة الحواجز الترابية للسيطرة على مياه الامطار

¹ عبد الله يوسف محمد، في صفة اليمن في كتاب أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م، ص15.

² اسمهان سعيد الجرو، المرجع السابق، ص169.

³ عيروس علوي بلفقيه، المرجع السابق، ص53.

والسيول وتوزيعها، وبناء السدود في المناطق الضيقة بين الجبال التي تمرّ بها الوديان، مستفيداً من ارتفاع مستوى المياه لتوزيعها على قنوات للريّ يهدف الاقتصاد والتوفير¹.

- كما عرفت بعض مرتفعات اليمن بناء خزانات الماء، وهي ما تعرف اصطلاحاً بالصهاريج، مفردها صهرج" أشارت لها النقوش في صيغة الجمع "كريفت" إذ جاءت في السطر الثالث من نقش "J2867" وفي صيغة المفرد كريف" وظهرت في السطر الثاني من نقش "C230"- وفي السطر السادس من نقش "C291"².

- تتفرد الصهاريج كأثار مميزة فريدة فلما تجدها في الأثار الثابتة الأخرى تتمثل في إمكانية إعادة تأهيلها للعمل اليوم، فهي آثار قابلة لاستعادة الحياة مع قليل من الجهد والبذل، لتعطي صورة حية تساعد الباحثين في كتابة التاريخ من ناحية، ومن ناحية أخرى، يمكن الاستفادة منها كمنشأة حيوية تحتاجها المناطق الزراعية في المرتفعات بالذات.

- شهدت ممالك اليمن القديمة بناء الصهاريج لاسيما حضرموت" وقتبان وأوسان"³، إلا أن دوافع شيدها وكذلك الوظائف التي تقوم بها اختلفت من منطقة لأخرى بسبب اختلاف طبيعة المنطقة ذاتها واختلاف نشاطها الاقتصادي حيث أن المرتفعات التي شهدت نشاطاً زراعياً أخذ وظيفة الصهاريج فيها شكل جمع مياه الأمطار وحفظ بها، ومن ثم تسريبها عند الحاجة الى المناطق الزراعية كوسيلة للريّ، بينما المدن ذات النشاط التجاري المحاطة بالجبال كان لصها ريحها وظيفة مختلفة، فبعد تجميع المياه وحفظها تقوم قنوات محكمة التشييد بتزويد قطاعات

¹ عبد الله حسين الشيبه، المرجع سابق، ص 05.

² بيستون أ.ف. ل. و وآخرون، المعجم السبئي، مكتبة كتاب ودار شهادات بيتزلوهان الجديدة، بيروت، 1982م، ص 79.

³ الحمد جواد مطر، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، ط1، جامعة عدن ودار الثقافة العربية، الشارقة 2003م، ص 324-326.

المدينة بالمياه اللازمة للاستهلاك اليومي وكذلك تزويد الجهات ذات العلاقة بالتجارة قوافل و مراكب.

بما يلزمها من مياه أثناء بقائها في المدينة، أو تحتاجه خلال رحلاتها الطويلة حتى ترد موقعاً أو محطة أخرى تجد فيها حاجتها من الماء، وصهاريجها تمثل نموذجاً جيداً لمثل هذه المدن والمحطات¹.

- شكلت المرتفعات الوسطى والغربية، وما يتخللها من منخفضات الملاذ الآمن لسكان المناطق الشرقية الجافة، بعد تراجع النشاط التجاري للطريق البري وازدهار التجارة عبر الطريق، البحري إذ وجد فيها الأمن، والأرض الصالحة للزراعة التي فقدوها بفقدانهم السيطرة على التجارة البرية، وتعرضهم لضغط القبائل البدوية² وما صاحب ذلك وتلاه من ضعف ، وحروب طاحنة وعدم استقرار سياسي وانهيار لممالك الصحراء وانتشار أعمال السلب والنهب³.

- أن حدوث هذا الانتقال تؤيده نتائج المسح والتنقيب الأثري اللذان بدأت لهما بعثة المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو" منذ عام 1994- في المرتفعات الوسطى بهدف دراسة زراعة المدرجات القديمة في المرتفعات اليمنية⁴ ، فقد تم التوصل الى بعض الأدلة الأثرية الداعمة لفكرة الانتقال ، إذ عثرت البعثة على آثار فخارية تعود نمط الفخار الذي عرفته المناطق الشرقية الجنوبية.

¹ محيرز، صهاريج عدن، مركز اليمين للأبحاث الثقافية والمتاحف، عدن، 1987م، ص78.

² إيدنيز كريستوفر و ويلكنسن، ت.ج ، جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث للهولوسين، تر: ياسين محمود الصانعي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء، 2001م، ص136.

³ عبدالله حسن الشيبه، المرجع سابق، ص7-8.

⁴ إيدنيز كريستوفر و ويلكنسن، المرجع السابق، ص98.

- كما وجدت كتابات في تلك المرتفعات على بعض الأحجار والفخار ، مكتوبة بالخط الذي عرف في نقوش ممالك الصحراء، إلا أن ما أثار دهشتهم أكثر، هو عثور على بقايا معمارية ومنحوتات ذات تأثيرات هيلنستية"، دفعتهم في النهاية الى الخروج بفرضية ترى أن بزوغ نجم حمير" على حساب ممالك الصحراء سباً وقتبان، بالذات أدى الى اندماجها في الأنظمة التجارية والاقتصادية السائدة في العالمين الهيلينستي" ثم الروماني" الأمر الذي يسمح بدخول حضارة مادية طارئة عن طريق وصول عدد من الناس من هذين العالمين الى هذه المرتفعات¹.

- بالوقوف على هذه الفرضية يجد الباحث ذاته على نقيض منها، أذ يرى أن البقايا الأثرية ذات التأثيرات الهيلنستية" في هذه المرتفعات ما هي إلا دليل آخر يؤيد ويدعم فكرة انتقال الناس آنذاك من المراكز الحضارية الشرقية الى تلك المرتفعات فهناك الكثير من الشواهد التاريخية التي تسمح بقبول هذا الرأي، وفي ذات الوقت تمنح فرصة التآني قبل القبول بفرضية هذه البعثة باستثناء بعض الأدلة الأثرية في مناطق المرتفعات الوسطى الغربية التي أدت الى الاعتقاد بوجود صلات تجارية محدودة بمراكز حضارية خارجية تمثلت بتجارة المواد الخام، كخام الأبسيديان البسج"² مما يظهر علاقات مباشرة ليست واسعة مع المناطق البعيدة إلا أنه يستعد

¹ إيدنز كريستوفر و ويلكنسن، ت.ج ، المرجع السابق، ص136-138.

² إدريس جمال الدين محمد، قراءة في عصور ما قبل التاريخ حول نشأة المدينة في مرتفعات اليمن الوسطى، مجلة حولية الآداب كلية الآداب جامعة عدن العدد الرابع ، يوليو 2007م، ص288-289 .

أن هذه المرتفعات ربما عاشت عزلة طويلة امتدت حتى بداية العصر الحميري¹ ربما بسبب إنتاجها مواد زراعية متنوعة وكافية².

- ومن غير المعقول أن يحدث هذا الاندماج المفاجئ بالأنظمة الاقتصادية والتجارية للعالمين الهيلينستي والروماني في هذا الوقت المبكر من زمن الدولة الحميري القرن 1-ق.م وبعده بقليل.

- عدم الاستقرار السياسي والوضع المضطرب في جنوب شبه الجزيرة العربية، ملامحه المتمثلة في الحروب الطاحنة وانتشار أعمال السلب والنهب، وفقدان الأمن³.

- بعد فشل الحملة الرومانية بقيادة اليوس "جالوس" مع بداية الربع الأخير من القرن 1-ق.م، صرف لرومان النظر عن تكرار هذه المحاولة مرة أخرى، مما يسمح باستبعاد دخول عدد كبير من الناس من العالم الروماني الى هذه المرتفعات بما قد يحملونه من تأثيرات حضارية من خلال هذا المنفذ،

- تحول التجارة من البرّ الى البحر، مكن الرومان من الحصول على المنتجات والبضائع التي يحتاجونها في منابعها، أو على الأقل في أسواقها، الأولى الموانئ دون الحاجة الى وسيط تجاري وعليه دون شك أقام الرومان علاقات معينة مع موانئ جنوب شبه الجزيرة العربية، بما يحقق مصالحهم التجارية إلا أن الدافع لديهم لإقامة اندماج اقتصادي وتجاري مع مناطق المرتفعات لا مبرر له في هذا الوقت.

¹ إيدنز كريستوفر و ويلكنسن، ت.ج ، المرجع السابق، ص135-136.

² إدريس جمال الدين محمد ، المرجع السابق، ص289.

³ عبدالله حسن الشيبه، المرجع السابق، ص08.

- لكل ما جاء أعلاه فإن التأثيرات الهيلينستية الرومانية التي على وعليها في البقايا الأثرية وربما لم تكن قد وصلت من عالمها بشكل مباشر الى المرتفعات وإنما عن طريق الناس الذين أجبرتهم الظروف على الانتقال من شرق الهضبة اليمنية، الى هناك لاسيما وأن النشاط التجاري البري لممالك اليمن القديمة مع المناطق التي تقع، الى الشمال من شبه الجزيرة العربية، سورية بالذات طيلة الألف الأول ق.م-أدى دوراً كبيراً في ظهور صلات وعلاقات متعددة تعددت مسألة التبادل التجاري، فأفرزت تأثيرات حضارية وفنية خارجية ثم الكشف عنهما في البقايا الأثرية، التي وجدت في مناطق متفرقة من الأراضي التابعة لهذه الممالك، وبما أن سورية تعد المهد الذي مرت من خلاله ثقافات وحضارات متنوعة باتجاه الجنوب¹.
- وإن صارت وفنون سورية الهلنستية وفنون العالم الكلاسيكي عموماً ظهرت في العديد من الأعمال الفنية التي خلفتها تلك الممالك لعل أبرزها تجلي في التماثيل والمنحوتات والرسومات والفخار، وفنون العمارة وزخرفتها وكذلك انسان أبدعه الفنان على النقود، وأعمدة النقوش وغيرها من إبداعات وفنون إنسان ممالك اليمن القديمة².
- وهكذا فإنه مع انتقال الناس من المناطق الشرقية للسكن والاستقرار في المرتفعات الوسطى والغربية، لابد وأنهم نقلوا معهم ما تعلموه وخبروه ومارسوه مما أدى الى ظهور تلك التأثيرات الهيلينستية الرومانية في هذه المرتفعات آنذاك.

¹ فان بيك، تاريخ العربية الجنوبية وآثارها، تر: رضا جواد الهاشمي، مجلة التراث المركز اليمني، للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف مجلد2/العدد2-عدن مايو1978، ص104.

² ناشر هشام عبد العزيز، التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الاول ق.م، رسالة ماجستير قسم التاريخ كلية الآداب عدن2003م، ص186-193.

IV- التنوع المناخي:

- يتصف مناخ اليمن بشكل عام بأنه مناخ مداري موسمي فبعض المناطق تصنف ضمن نطاق مناخ الصحاري، المدارية الحارة، وبعضها الآخر يشوب طبيعتها المناخية بعض مظاهر المناخ الموسمي لتأثره لهبوب الرياح الموسمية¹.
- تتأثر ظاهرات المناخ وعناصره في جنوب شبه الجزيرة العربية، من حرارة ومطر ورطوبة ورياح قوية بخصائص البيئة الجغرافية الأخرى.
- وهناك عدة عوامل تؤثر في مناخ اليمن القديم أهمها:

(1) الموقع الفلكي:

- تقع اليمن ضمن مناخات النطاق الحار الذي يتبع الأقاليم الجافة وشبه الجافة وحيث تتعامد الشمس بين خطي عرض 12 درجة و 20 درجة شمالاً لا تقرب² ما بين شهري مايو آيار ويوليو تموز وهو ما يؤدي الى زيادة درجة الحرارة، ومن ثم ينخفض الضغط الجويّ وبذلك تتجذب الكتل الهوائية الرطبة من سطح المحيط الهندي تتهاطل الأمطار الغزيرة³، وهي بذلك تقع في مكان وسط بين خط الاستواء وبين مدار السرطان وهذا يعني أنها تقع ضمن المنطقة المدارية أي الإقليم المداري الحار، الذي يشمل في نطاقه الصحاري المدارية الحارة في العالم القديم، والذي يمتد بين إقليم البحر المتوسط في شمال والإقليم المداري في الجنوب، وتحدث

¹ عيروس علوي بلفقيه ، المرجع السابق، ص15-159.

² أحمد عبد الله محمد، جغرافية اليمن الطبيعية، ط1، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، صنعاء، 2001م، ص66.

³ عباس شهاب محسن و جابر علي السنباني، مدخل الى جيومورفولوجية اليمن، ط1، مركز عبادي للطباعة والنشر، صنعاء، 1999م، ص98.

الجفاف عموماً في الشتاء بسبب غزو الكتل الهوائية الباردة من قلب آسيا من جهة وهبوب الرياح الشمالية الشرقية الجافة من جهة أخرى¹.

(2) التضاريس:

- وهي تؤثر على أكثر من عنصر من عناصر المناخ، حيث يظهر اثر التضاريس واضحاً مسبباً تفاوت في درجات الحرارة في اليمن، فتتخفض درجات الحرارة بوجه عام 1 درجة مئوية- كلما ارتفعنا 150م والعكس صحيح، وهذه النسبة غير ثابتة بل تختلف من منطقة لأخرى فعن المناطق المرتفعة مثل صنعاء تتراوح درجات الحرارة ما بين 5-10 درجة م- في حين تتراوح ما بين: 30-40 درجة م- في المناطق المنخفضة مثل الحديدة²، ويتراوح المتوسط السنوي لدرجات الحرارة ما بين: 25-27 درجة م-.

- وتوجد علاقة أيضاً بين التضاريس والأمطار فالمناطق المرتفعة أو فر خطاً في حصتها من الأمطار في المناطق المنخفضة المتشابهة في ذات ظروف الموقع وكذلك سفوح المرتفعات المواجهة للرياح الممطرة بكميات أكبر من الأمطار من السفوح الواقعة في ظلّ المطر يؤثر الارتفاع أيضاً في نظام الضغط الحيوي حيث به يتناقض بالارتفاع ويؤدي تنوع هذه التضاريس واختلاف أشكالها، الى الاختلاف في توزيع درجات الحرارة وكميات الأمطار واتجاه الرياح.

¹ عوض ابراهيم عبدالرحمان الحفيان ، المرجع السابق، ص109.

² آغا شاهر جمال، الأقاليم الطبيعية في اليمن، مجلة الدراسات اليمنية، العدد 10، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1982م، ص21.

(3) المسطحات المائية:

- تعد من العوامل المساعدة في اعتدال المناخ في المناطق التي تجاوزها ويتوقف ذلك على المؤثرات البحرية من التوغل داخل اليابسة ، كما أنها تؤثر في المدى الحراري اليومي والسنوي، ونتيجة لتعرض موقع اليمن للرياح الدافئة بسبب وقوعه على مشارف البحار¹، إضافة الى ارتفاع معدل الرطوبة في المناطق الساحلية والتي تتراوح ما بين: 70-90% في سهلي تهامة وعدن².

(4) الرياح الضغط الجوي: يعد الضغط الجوي أحد العوامل المؤثرة في المناخ حيث اليمن للرياح الشمالية والشمالية الشرقية الجافة، والرياح الجنوبية الشرقية الآتية من المحيط الهندي فإذا كانت الرياح جنوبية غربية فإنها تكون محملة برطوبة من البحر الأحمر، ففي فصل الصيف يتشكل مركز ضغط جوي منخفض أن تتركز الضغط الجوي يرتفع في وسط فصل الشتاء، بما فيها اليمن.

- لذا فإن هذه المناطق تصبح مصدراً في وسط الهوائية الباردة والجافة التي تتجه الى نحوها وسطها مدى تأثير الرياح حيث تكون باردة أو حارة، رطبة أو جافة، حسب المصدر الذي أتت منه والأجسام أو المناطق التي مرت فوقها، بالإضافة الى ذلك فالرياح لها أثر كبير في تشكيل سطح الأرض، وخاصة في المناطق الجافة كما أنها المحرك للأمواج البحر³.

¹ عوض ابراهيم عبدالرحمان الحفيان، المرجع سابق، ص111-112.

² إسمهان سعيد الجرو، المرجع السابق، ص24.

³ عباس شهاب محسن و جابر علي السنباني، المرجع سابق، ص98.

(5) توزيع مناطق الضغط:

- يؤثر كل من نطاقي الواطئ الاستوائي الى الجنوبي والضغط العالي دون المداري حول، دائرة العرض 30 درجة شمالاً- كما أن ترحل هذين النطاقين شمالاً وجنوباً يسفر عن خضوع مناخ اليمن الى الظروف المدارية وأخرى تابعة لإقليم البحر المتوسط¹.

هذا التأثير افرز واقع مناخي متعدّد ومتنوع بحسب خصائص هذه المنطقة أو تلك لذا تمّ تقسيمه الى عدد من الأقاليم المناخية، مع تميز كل إقليم بصفة مناخية خاصة به على النحو التالي:

- إقليم السهول الساحلية
- إقليم المرتفعات
- إقليم الهضبة الشرقية هضبة حضرموت
- الإقليم الصحراوي².
- المناخ عموماً وكذا تنوعه وتعدّد أقاليمه ذا أهمية بالغة وتأثير قوي على مختلف مناشط الحياة التي عاشتها ممالك اليمن القديمة وفيما يخص هذه الدراسة فإن أهمية هذا التمييز المناخي تنطلق من كونه يعد سبباً مهماً مع التضاريس في توزيع وتنوع النباتات الطبيعية³، تلك النباتات التي شكلت بعضها سلعا مهمة في تجارة الممالك كاللبان والمرّ لما يحتاجه كل نوع من أنواع النباتات من ظروف مناخية معينة للنمو والاثمار، ليس هذا فحسب بل أنه أدى الى تنوع

¹ إسمهان سعيد الجرو، المرجع السابق، ص25.

² عيروس علوي بلفقيه، المرجع السابق، ص90-99.

³ نفسه، ص123.

المحاصيل التي زرعها الإنسان حتى في إطار المنطقة التضاريسية الواحدة. المرتفعات نموذجاً مما أتاح بالضرورة مجالاً رحب للعملية التجارية في ان تنشط داخليا إطار تلبية حاجة المناطق للمحاصيل التي لا تتحملها من ناحية وخارجياً بما وفرته من منتجات زراعية ذات صفة تجارية على الصعيد الدولي من ناحية أخرى¹.

٧. الإطار التاريخي لممالك اليمن القديم:

(1) دولة معين²:

- هي أول حكم سياسي في اليمن القديم بدأ في القرن 14 ق.م عاصمتها القديمة معين"، وعاصمتها الحديثة قرنا" والي عرفت فيما بعد بمدينة السوداء" وكلاهما واقعتان شمال شرق صنعاء، وامتدت سيادة دولة معين في معظم الجزيرة العربية بما في ذلك حضرموت وكان اندماج هذه الأخيرة في ملك دولة معين مدة ثلاث قرون، وكان دولة معين 6 دولة تجارة وسلام أكثر مما هي دولة حرب.

- واختلفت الآراء حول تاريخ نهاية الدولة المعينية، ففريق يقول بأنها دامت حتى القرن 8 ق.م- وآخرون يقول أنها بدأت تلفظ أنفاسها حوالي عام 600 ق.م- وانتهت ببداية أول سبأ وهو المكرب الملك كرب إل وتر" بمحاربة معين والاستيلاء على دولها الواحدة تلو الأخرى.

¹ عبد الله حسن الشيبه، ترجمات يمانية القسم الاول العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية، ط1، منشورات دار الكتاب صنعاء 2008م-ص33.

² أسهمان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، (د.م.ن)، 2003م، ص75.

(أ) ملوك معين:

- تعاقب على هذه الدولة 26 ملكاً وكان الملك في بداية الدولة المعينية يلقب "بمزواد" ثم بلقب "ملك" ريام" اليفع، اليفع يفس ،يامر ،بتع، ريام، قهالتبع، وقه يظ، صديق وريام ، صديق بن يفع كرب، ريام، بن اليفع يأسر، يفع إل، فال كرب، صديق وهو قعنت بن اليفع ريام...الخ.

(ب) **نظام الحكم في معين:** كان النظام الحكم وراثياً ينتقل من الأب الى الابن وقد يتولى الولد والوالد الحكم في وقت واحد، والحكم في معين كان أشبه بالحكم اللامركزي أي إذ لكل منطقة ممثل، والملك في دولة معين لم يكن مطلق التصرف إذ كان يوجد بجانبه مجلس يضم ممثلي المناطق ، وأصحاب الاملاك ورؤساء العشائر كانوا من كبار الموظفين، والملك كان هو الذي يعين الموظفين "حياية الضرائب وادارة الاقاليم".¹

(2) دولة حضرموت:²

- قامت دولة حضرموت في جنوب بلاد العرب الى الشرق من اليمن على ساحل بحر العرب في منطقة واسعة في شرق عدن قرب، البحر وتحيط بها رمال كثيفة تعرف بالأحقاف، والتي يوجد بها قبر هود عليه السلام.

- وقد تردد اسم حضرموت عند عدد من الكتاب الكلاسيكيين ولكن بشكل محرف قليلاً إلا أنه يقترب من الشكل العربي للاسم مثل "كاترومويتاي" و"هادرأميثاي" وأتراميثاي" ويرجع اسم حضرموت الى حضرموت بن قحطان الذي نزل هذا المكان فسمي به فهو اذن اسم موضع واسم قبيلة .

¹ أسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ لليمن القديم، المرجع السابق، ص76.

² محمد عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات، لبنان، ص33-51.

- وقيل أنهم سموا بهذا الاسم نسبة إلى رجل اسمه "عامر بن قحطان" كان اذا حضر حرباً أكثر فيها القتل، فذا حضرها قال الناس لقد حضر موت فسميت الأرض نسبة إليه حضرموت .

- وتدلّ النقوش التي خلفها شكلم سلحان بن رضوان أحد كبار موظفي دولة حضرموت أن الملك شمر إيل يهرعش بن أبيع" أمر باقامة التحصينات اللازمة لقلعة قلت" التي كانت شرق على واد بين مدينة حجر " وميناء قنا"، وذلك لحماية منطقة حجر من الغزو الخارجي وبخاصة اغارات الحميريين الذين طالما هددوا حضرموت لسانين بارزين في البحر لحماية الخليج الواصل، بينهما كما أمر حضرموت" ببناء الاسوار القوية والابراج العالية حول مدينة "ميفعة" للدفاع عنها .

- قامت علاقات ودية بين دولة حضرموت ومملكة سبأ على النقيض من العلاقة مع جيرانهم الحميريين، فأرسل ملك سبأ وفدا من قبله للمشاركة في الاحتفال الخاص بتتويج الملك الحضرمي "الغريلط" الذي قام بتعمير مدينة شبوة" واتخذها عاصمة المدينة لها¹.

(3) دولة سبأ:

- كانت دولة سبأ تقع بين معين في شمال اليمن وقتبان في الجنوب وكان لفظ سبئ" يطلق بصفة عامة على جميع تجار العرب، قامت دولة سبأ مجاورة ومعاصرة للدولة المعينية، ولما قويت شوكة السبئيين انتزعوا سلطان معين وأسسوا دولتهم في الجزء الجنوبي واتخذوا صرواح" عاصمة لهم، كان هناك مملكة قوية من في سبأ ق10ق.م- .ترأسها ملكة وكان لهذه الملكة نفوذ كبير على الجهات الشمالية تيماء معان ديدان العلا" ، وقد ذكرت في القرآن الكريم

¹ محمد عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص51.

قال تعالى : [قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33)]¹، وتشير هذه الآية الى أن هذه الملكة كانت لها حكومة قوية ومجلس شورى يعرف باسم الملأ².

- ويقسم التاريخ السياسي لدولة سبأ الى فترتين:
- الفترة الاولى "650-950 ق.م": كان لقب الملك في تلك الفترة مكرب سبأ) فقد كان حاكم سبأ آنذاك مالك وكاهن في آن واحد ، وقد عثر على سبعة عشر ملكاً لقبوا بهذا اللقب منهم ملكة سبأ المشهورة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.
- وكانت عاصمة الدولة في تلك الفترة مدينة صرواح.
- ومن أهم ملوك هذه الفترة يدع أيل" ذريح، سمه علي ينوف الذي وضع الأسس لسد مأرب"³.
- ويعد عهد المكرب "كرب أيل ونار" من أهم فترات العصر السبئي، ذلك أنه كان آخر المكربين فقد خلع لقب مكرب الملك الكاهن" فتحوله الحكم في مملكة سبأ الى الحكم الديني .

¹ سورة النمل الآية رقم: 29-33

² محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص113.

³ جواد علي ، المرجع السابق، ج1، ص107.

- أما في مجال العلاقات الخارجية ، فقد كانت مملكتي حضرموت وقُتبان حليفين لدولة سبأ، فلما تقدم ملك دويلة أوسان واستولى عليهما، اضطر مكرب أيل وتار" الى الانضمام الى حلفائه ومساعدتهم¹.

- أما فترة العصر السبئي الثاني :650-115ق.م- اتخذ ملوك سبأ لقب ملك وحدث هذا التحول في عهد كرب أيل وتار" الذي تخلى عن لقب مكرب في أواخر عهده، ونقل العاصمة من صرواح الى مأرب واتخذ من قصر سلحين" دار للملكة على الرغم من تخلي ملوك سبأ عن الألقاب الدينية إلا أن علاقاتهم بالآلهة كانت على جانب من التوقير والاحترام².

- وكان من أهم أسباب زوال المملكة سبأ تصدع سد مأرب الذي كان يعتبر السبب الرئيسي في رخائها.

(4) دولة قُتبان:

- مملكة قُتبان عاصرت مملكة معين وكان القُتبانين يقطنون في الأقسام الغربية من العربية الجنوبية وقُتبان" موضع في نواحي عدن، ولما انقرضت دولة معين وقامت دولة سبأ على أنقاضها ظهرت قُتبان كمنافس جديد لدولة سبأ وقامت وظهرت حروب بينهما وأخضعت قُتبان سبأ بين عامي ق.م- وهذه الفترة تعتبر أزهى عصور قُتبان"، وتجددت الحرب بين قُتبان وسبأ وغيرها "حضرموت" ما أدى الى انهك قُتبان" واضعافها حتى فقدت سيادتها واندمجت في سبأ أما عن عاصمتها فهي تمنع" مدينة كحلان" حالياً.

- نظام الحكم في قُتبان":

¹ نفسه، ص 289-295.

² محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 118.

- لقب ملوك قتبان في بادئ الأمر بلقب مكرب"، بمعنى مقرب أي أنه يقرب الى الآلهة وأضافوا لقب ملك ليجمع السلطتين الدينية والزمنية أي أنه الكاهن الاكبر الحاكم المطلق" وكان مكربي قتبان في بداية عهدهم يحكمون الطوائف والجماعات الخاضعة لنفوذهم ولما توسع سلطان المكرب لم يعد حكماً دينياً وصار الحاكم يلقب نفسه ملك قتبان"، ونظام الحكم كان وراثياً ينتقل من الآباء الى الابناء، وقد ينتقل الى الاخوان في وجود الابناء في بعض الاحيان .

(5) دولة حمير:

- كانت بلاد حمير تقع بين نفوذ مملكتها سبأ وبحر القلزم ريدان" ولم تلبث دولة حمير أن ازدهرت وقويت شوكتها فتغلب الحمير على السبئيين"، وصار ملوك حمير يلقبون بـ"سبأ وذي ريدان" وبذلك قامت دولة حمير 115ق.م، واتخذوا من ظفار عاصمة لها.
- يتفق المؤرخون على تقسيم تاريخ دولة حمير الى فترتين زمنيتين طبقاً للقب ملوك هذه الدولة، وقد امتدت فترة حكم دولة حمير الاولى من 115ق.م-300م واتخذ ملوكها لقب "ملك سبأ وذي ريدان".
- أما الثانية: والى 300م- ولقب ملوكها بـ"ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات"¹ .

¹ محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص118.

الفصل الثاني: الوضع التجاري في ممالك اليمن القديم.

(1) الطرق البرية الداخلية والخارجة (طرق القوافل).

(2) الملاحة البحرية.

(3) علاقات اليمن مع العالم القديم.

(4) المبادلات التجارية.

- لا يمكن لأي حضارة أن تحقق تفوقها ما لم يتوفر لها جملة من المقومات الأساسية التي تعمل كوحدة مرتبطة لا تتجزأ وهذا ما انطبق على اليمن القديم حيث توفرت له جملة من المقومات بارزة في النشاط التجاري العالمي في العصور القديمة.
- فالموقع الاستراتيجي لليمن كان له أثر كبير في تاريخه ونشأة حضارته بالإضافة إلى طبيعة الأرض والمناخ¹ ، كما أنأا توسط اليمن لحضارات العالم القديم ساعدة في إعطائها مركز تجاري قوي ساعد في ازدهار التجارة² وكانت اليمن بفضل هذا وسيطا تجاريا بين حضارات العالم القديم، فتحكموا في طرق التجارة البرية والبحرية وانفردوا بإنتاج (اللبان) وتصديره إلى مختلف دول العالم القديم³ ،ويقول الدكتور جواد علي أن العرب الجنوبيين كانوا قوما يجنون أرباحا طائلة من التجارة ،ويعيش الكثير منهم عليها، فكانوا يبيعون ويشتررون ويصدرون ويستوردون في الداخل والخارج كما أنهم كانوا يقيمون الأسواق في بلادهم في المواسم أو في أيام معينة من الأسبوع للبيع والشراء⁴.

¹ وائل فتحي مرسي، المجتمع اليمني القديم دراسته من خلال المناظر والنقوش، كلية الآثار، القاهرة، (د.ت)، ص76 .

² ديزيرة سقال، العرب في العصر الجاهلي، ط1، دار الصداقة العربية، بيروت، 1995م، ص52.

³ وائل فتحي مرسي، المرجع السابق، ص76.

⁴ جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص 230.

1- الطرق البرية الداخلية والخارجية (طرق القوافل).

- يرى الدكتور جواد علي أن التجارة البرية هي عماد تجارة الجاهليين وسندهم الأول في رخائهم وكسب ثرواتهم¹ وقد ذكرت الدكتور أسهمان الجرو أن هناك عدة عوامل أثرت في الطرق التجارية وفي اتجاهاتها أهمها طبغرافية بلاد اليمن ومناهل المياه بالإضافة إلى توفر الحماية، بالإضافة إلى العوامل السياسية والاقتصادية والعسكرية، كما أشرت الدكتور أسهمان الجرو إلى الخريطة التضارسية لجنوب شبه الجزيرة العربية، حيث أن التضاريس كانت ملائمة ليتم الاتصال بسهولة بين ممالك الجزيرة العربية².

(1) الطرق الداخلية:³

- وجدت في جنوب شبه الجزيرة العربية، شبكة من الطرق البرية الرئيسية منها والفرعية وسنركز في دراستنا هذه على أهم تلك الطرق:
- (أ) **ظفار - قنّاء:** وهو طريق عرف بوعورته ويصعب علي القوافل عبوره إلا في الحالات النادرة حينها تمر عبر مرتفعات جبيرة وعرة محاذية للساحل
- (ب) **ظفار - حضرموت:** يسير بمحاذاة الطرق الشمالية للجبّال فتسلك القوافل طريق تتوفر فيه الآبار وتقطع الطريق منطقة جروت حتي المهرة ومن ثم وادي السيلة حتى وادي حضرموت.
- (ج) **قنّاء - شبوة:** يوجد طريقان، شمالي صوب وادي (حجر) مروراً بوادي (المينى) ثم وادي (عرمة) ومنه إلى (شبوة)، هو طريق آمن بسبب اعتناء ملوك حضرموت به.

¹ جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص232.

² أسهمان سعيد الجرو، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، مجلة جامعة عدن للعلوم الاجتماعية والإنسانية، مج2، العدد الثالث يونيو، 1999م، ص23.

³ نفسه، ص27. أنظر الملحق رقم01، ص106.

بالإضافة لوفرة المياه، أما الطريق الآخر فيمر بوادي ميفعة مروراً بخرائب (نقب الهجر) وتتابع القوافل السير عبر شريط ضيق من السلاسل الجبلية حتى تصل إلى وادي (عماقين) ثم وادي (جردان) ثم تمر بأراض رملية ومنها إلى شبوة، وقد أشار بليني أن شبوة تعد مركزاً جمرانياً لدفع البضائع حيث تصل البضائع إليها من كل صوب لترسيمها أو بيعها أو تخزينها، بعدها تستعد لرحلة طويلة صوب الشمال .

- د) **شبوة - جرها:** للوصول لمدن الخليج العربي وبالذات للمناطق التجارية (جرها) و(هجرة) تسلك القوافل طريقاً شرقياً تصل خلاله إلى الخليج، ومنها إلى وادي الرافدين، أما الطريق البحري فيسير بمحاذاة الساحل حتى مدخل نهر الفرات.
- هـ) **شبوة - تمنع:** للوصول إلى تمنع تسير القوافل من شبوة صوب الجنوب حتى تصل إلى وادي (جردان)، وهناك إما تسلك اتجاه الجنوب الغربي عبر الجبال فيصل إلى وادي (حمام) ثم (نصاب) بعدها تتجه صوب (مرخة)، ومن ثم وادي (بيحان)، وإما تسلك الاتجاه الغربي فتسير من وادي جردان في تمنع مباشرة على الطريق الصحراوي.
- و) **شبوة - الجوف:** هناك طريقان الأول يتجه من شبوة إلى طرف وادي الجوف وهذا الطريق شاق ويفتقر لمناهل المياه والثان يسير شمالاً مروراً بمنطقة (العبر) التي تربط بين حضرموت ونجران.¹

¹ أسْمَهان سعيد الجرو، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص 26.

ن) **تمنع - مأرب:** ومن هذا الطريق تستطيع القوافل أن تذهب على أطراف الجبل إلى (تجد مرقد) ومنها إلى مأرب ويحتمل أن هذا الطريق تتجنب به المرور (بعقبة مبلقة) من أجل اختصار الطريق، كما يمكن لهذا الطريق أن تتجنب به كل من (نجد مرقد) و (حريب) إذا شئت وأن تذهب إلى مأرب رأساً.¹

ح) **عدن - مأرب:** تسر القوافل من ميناء عدن عبر منطقة (لودر) شمال شرق البيضاء، ثم إلى (وادي بيحان) والمعروف إن أقصر الطرق القاصدة مأرب تمر عبر (عقبة مبلقة) نزولاً (بوادي حريب) ثم أطراف (رملة السبعين) حتى (مأرب).

ط) **مأرب - الجوف - نجران:** من مأرب تسلك القوافل السبئية طريقين للوصول إلى الجوف، طريق يربط بين (قرناو) و (معين) مباشرة، ومنه إلى (نجران)، وآخر ينطلق من (مأرب) يسير عبر (وادي رغوان) ومنها إلى (براقش)، وثم تسير القوافل شرق جبل (اللود) حتى تصل إلى نجران ومن نجران تسير القوافل باتجاهين شرقي وشمال، وشمال غربي.²

2) **الطرق الخارجية:**³

أ) **نجران - جرها:** يتجه هذا الطريق صوب (جرها) و (هجر) بالخليج العربي، مروراً ب (جرها) و (ذات كهل)، ثم (اليمامة) لتتوقف القوافل ب (جرها) و (الهجر) ثم تتجه شمالاً حتى تصل جنوب بلاد الرافدين.

ب) **طريق نحو الشمال والشمال الغربي:** تنطلق القوافل من نجران إلى الشمال عبر خط تحدده طبيعة المنطقة وتوفر الحماية، والملاحظ أن القوافل تتجنب المرتفعات والمنخفضات الساحلية المحاذية للبحر الأحمر، فالجمل يسير محمل ببضائع ثقيلة عبر مساحات شاسعة، وقد أشار بعض الباحثين إلى أن طريق البخور هو الطريق نفسه الذي عرف فيما بعد (بدرج أصحاب الفيل) إبان حملة أبرهة إلى مكة وهو نفس طريق الحج، إلا أن هناك رأياً آخر هو الأرجح يرى بأن طريق البخور يبعد قليلاً صوب الشرق في الطوف الغربي للصحراء، حيث الطبيعة التضاريسية الأقل وعورة وبالتالي الأكثر ملاءمة لقوافل الجمال، إذن فهناك طريقان الطريق القديم (طريق البخور) و (طريق الحج)، المؤكد أن منطقة (ثمالة) تعد منطقة إلتقاء

¹ عبد القادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1935م، ص 177.

² أسمهان سعيد الجرو، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص 27.

³ أنظر الملحق رقم 02، ص 107.

للتريقين فالمسافة التي يتم قطعها على هذا الامتداد تصل إلى حوالي (280 ميلا)، أو إثنا عشر مرحلة أما المسافة من تبالة إلى يثرب فتبلغ (350 ميلا).

(ج) يثرب - ددان (العلا): من يثرب تتبع القوافل الطريق الذي أصبح فيما بعد طريق الحج حتي العاصمة اللحيانية ددان ومدينة (الهجر) وتدل الكتابات المعينية بأن المعنيين المنظمين للتجارة البرية قد وضعوا نصب أعينهم الوسائل اللازمة لتأمين مرور تجارتهم بأمان، فأسسوا لهم تلك المستوطنات التجارية علي طول ذلك الطريق الشمالي.¹

* القوافل:

- وقد كانت التجارة البرية تنقل عن طريق القوافل وذلك لضمان حماية الأموال والتجارة والأرواح وينطلق علي القافلة التي تحمل الطيب - أهم صادرات بلاد العرب الجنوبية يطلق عليها (اللطيمة) ولقد لجأ العرب إلى نظام (القوافل) لأن التاجر لم يكن يستطيع أن يحمل بضاعته إلى أماكن بعيدة دون حماية فالقوافل توفر هذه الحماية للتجار لأنها تعتمد علي حماية نفسها بنفسها ثم تعتمد علي حماية الحكومة.

- وكانت الجمال هي واسطة النقل في جزيرة العرب حيث أن الجمل يستطيع تحمل

مشقة الصحراء فخواصه الجسمانية تمكنه من تحمل ثقل السلع بالإضافة إلى تحمل العطش والجوع فهو لا يشرب الماء إلا مرة كل أربعة أيام²، وتري الدكتور إسمهان الجرو أن الجمل يستطيع تحمل العطش حتي 20 يوما، وتقول أيضا أن الجمال المستأنسة كانت تشق طريقها من الجنوب إلى الشمال بأعداد قليلة ابتداءً من الألف 03 ق.م، وتشير أيضا إلى أن الحمار ظهر أيضا كوسيلة نقل وي النقوش المصرية الخاصة برحلة الملكة (حتشبسوت) ³.

¹ إسمهان سعيد الجرو ، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص27.

² جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص 320-321.

³ إسمهان سعيد الجرو ، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص 23.

II- الملاحة البحرية¹:

- كان المصريون، هم أول من شق عباب البحر الأحمر، طلبا للبان والمر و سلع أخرى، وتعود أقدم تلك الرحلات إلى وقت لا يتأخر عن منتصف الألف الأول الثالث قبل الميلاد، وفي الألف الأول بعد اندثار القوة البحرية المصرية في البحر الأحمر يظهر الفينيقيون ورثة طبيعيين لهم، ورغم غياب الأدلة المباشرة علي قيام أي نشاط بحري لليمنيين حتى ذلك الوقت إلا أن القرائن الأخرى تشير إليه ففي القرن السادس قبل الميلاد كانت كل من عدن و قنا معروفتين لدي سكان المناطق المحيطة بالبحر الأبيض، ومنذ ذلك الوقت أو قبله كانت الهجرات اليمنية قد بدأت تنطلق حول إفريقيا الشرقية حيث استوطن بعضهم في هضاب (إريتريا) وانتشر آخرون منهم تحت الراية الأوسانية في الناحية الجنوبية.
- ويضيف الدكتور عبد القادر بافقيه أن الرحلات البحرية التي تمت حتي ذلك الوقت كانت تغلب عليها سفقة الاستطلاع، وتحف بها مخاطر جمة، ولم تصبح بديلا للتجارة البرية التي أحكم اليمنيون قبضتهم عليها، وكانت محاولات الإبحار تهدف الى اختصار الطريق البري بين مصر وبعض أجزاء إفريقيا الشرقية لاستجلاب بضائعها المرغوب فيها ومن هنا جاءت مشاريع ربط النيل بالبحر الأحمر، أما السلع العربية والشرقية فقد كانت تأتي بحرا إلى مينائي قنا وعدن ثم تحمل على الجمال برا إلى سواحل فلسطين ومن ثم فإن أي نشاط بحري لليمنيين في ذلك الوقت لابد وأنه كان محصورا في الأجزاء الجنوبية من البحر الأحمر وفي البحر العربي والخليج العربي لجلب البضائع الإفريقية والشرقية إلى موانئهم الجنوبية ثم على قوافلهم إلى الشمال وهكذا فلم تؤثر محاولات استخدام البحر الأحمر من قبل العشوب الأخرى على تلك التجارة ومن بينها محاولة داريوس (585-421 ق.م) إعادة شق القناة التي تربط النيل بالبحر الأحمر ابان احتلال الفرس، لمصر.²
- أما الدكتورة أسمهان الجرو فتري أن المميزات الطبيعية لشبه الجزيرة العربية سنحت دون شك لشعوبها للقيام بالنشاط البحري منذ عصور موعلة في القدم وقد أجمع المؤرخون على أن قدماء اليمنيين كانوا أول من احتكر تجارة الشرق (الهند و سيلان) وتجارة شرق

¹ عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص179. أنظر الملحق رقم03.

² نفسه، ص171.

إفريقيا، ونقلوها إلى بلاد الشام وشواطئ البحر المتوسط ويقول مؤلف الطواف نقلا عن الدكتور أسمهان الجرو أن العرب الجنوبيون كانوا كثيرا في ساحل (مالابار) ، كما أنهم كانوا في سيلان من الكثرة ما جعلهم أسياد الساحل، وقد ظل العرب لعهود طويلة محتفظين بأسرار الملاحة في المحيط الهندي إلى غاية القرن 02 ق.م وبعدها أصبح هناك منافسين للعرب وهم اليونان والرومان حيث كانوا يقومون برحلات منتظمة إلا بلاد الهند واستطاعوا أن يبحروا على مقربة من الموانئ اليمنية رغم هذه المنافسة ظل قدماء اليمنيين يملكون سفنا بحرية تقوم برحلات نشطة ازدهرت خلالها الموانئ اليمنية ازدهارا عظيما خلال مطلع الميلاد¹.

1) أهم الموانئ والمراكز التجارية:²

- كان هناك العديد من الموانئ الهامة في اليمن قديما وقد ساهمت بشكل فعال في ازدهار الملاحة البحرية منذ زمن بعيد، كانت بمثابة مراكز أولية للتصدير والاستيراد حيث تنقل منها البضائع وتصل إليها برا وبحرا، ومن أبرز هذه الموانئ :

أ) ميناء موزا (muza) (موزع):

- يقع على الشريط الساحلي الشرقي للبحر الأحمر، وقد شهد هذا الميناء ازدهارا كبيرا وشهرة عالمية من القرن الأول ميلادي ويقول مؤلف الطواف نقلا عن إسمهان الجرو أنه عبارة عن سوق تجارية أقيمت وفق قانون محلي، وهو مزدحم بالمراكب وبملاك السفن العربية وتجار البحار والناس في شغل شاغل في شؤون التجارة ذلك كونهم يقومون بالتبادل التجاري مع أهل القرن الإفريقي في البحر ويرسلون السفن الخاصة بهم الى (باريجازا) ويضيف موزا ميناء تابع للملك (كرب أيل) ملك ظفار، ويقع هذا الميناء في إقليم المعافر.

¹ أسمهان سعيد الجرو، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص30.

² نفسه، ص30-31.

(ب) ميناء عدن:

- حضي بشهرة عالمية منذ فجر التاريخ ، بفضل موقعه الجغرافي المتميز ، ويقع الميناء في منطقة تحيط بها الجبال من كل جهة، فشكلت هذه الطبيعة التضارسية حماية فريدة للميناء من العواصف والرياح الموسمية التي تهب في الصيف كما تحميه صخرة صيرة من رياح الأزيب في فصل الشتاء مما يجعله صالحا لرسو طوال العام، وشهد ميناء عدن ازدهارا في الزمن القديم عندما كانت الرحلة لا تتم إلا عن طريق الهند إلا بلاد مصر، كما أنه شهادة فترة من الضعف في القرن الأول ميلادي مؤقتا، حيث استعاد نفوذه ومركزه في القرن 04م عندما عمل الامبراطور قسطنطين الثاني (317-361م) على فكرة بناء كنيسة في عدن ويصف الهمداني الميناء بأنه من أقدم أسواق العرب.¹

(ج) ميناء قنا:

- كان هذا الميناء تابعا لألغز (اليازورس) ملك بلاد اللبان (حضر موت) الذي يقيم في شبوة و إلي قنايرت اللبان بحرا من أماكن إنتاجه ومنها يحمل إلى شبوة لخرنه، وقد أصبح هذا خلال القرنين الأول والثاني للميلاد المينا الوحيد لتصدير اللبان.²

(د) ميناء موشا:

- يقع على خليج عمان بعد رأس فرتك أقيم خصيصا لتلقي اللبان المعروف بالساحلي، وإليه ترد بانتظام السفن القادمة من قنا، وكذلك السفن العائدة من الهند، والأخيرة تمضي الشتاء في ذلك الميناء إذا جاء قدومها متأخرا ويبادل أصحابها مع ممثلي الملك هناك أقمشتهم وقمحمهم باللبان³ ويقع هذا الميناء في إقليم ظفار الذي أطلق عليه الكلاسيكيون (أرض البخور).⁴

¹ أسمهان سعيد الجرو، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص31.

² عبد الله أبو الغيث، النشاط التجاري اليمني القديم وصلاته بالهند، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الاجتماعية والإنسانية (محكمة محكمة) العدد 06، (د.ت)، ص08.

³ عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص181-182.

⁴ أسمهان سعيد الجرو، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص31

(هـ) سقطرى:

- وتمثل هذه الجزيرة أحد المراكز التجارية البحرية الهامة ومما أكسبها هذه الأهمية التجارية موقعها الاستراتيجي الذي يمثل حلقة وصل بين الهند واليمن القديم وشرق إفريقيا فهي بمثابة محطة استراحة تتوقف عندها السفن قبل أن تتطلق إلى الهند، وتنتج أنواع من البخور والصبر والصمغ وأعشاب طبية نادرة وأنواع أخرى لا تنمو إلا في هذه الجزيرة تستخدم في صناعة العقاقير الطبية وفي صباغة الملابس، وكانت تابعة للملك حضرموت.¹

III- علاقات اليمن مع العالم القديم

- لا يمكن لأي حضارة أن تنمو وتتطور ما لم تتفاعل وتتواصل مع الحضارات المعاصرة لها، فاليمن القديم تأثر بحضارات العالم القديم، وأثر فيها، وكان طبعاً بفعل جملة من المقومات الطبيعية والبشرية فالموقع الاستراتيجي حيث تتوسط اليمن الحضارات القديمة، بالإضافة لطبيعة الأرض والمناخ، جعلاً منها أهم المراكز التجارية آنذاك.²

1) العلاقة مع شرق إفريقيا:

- كان الاتصال بين الساحل الغربي لجنوب شبه الجزيرة العربية والساحل الإفريقي المقابل اتصالاً حتمياً فرضه التكوين البنيوي للمنطقة فالمسافة بين الشاطئين قصيرة لا تتعدى 24 كم فمسافة كهذه يمكن اجتيازها بواسطة القوارب البدائية ولا يستبعد أن هناك صلات بحرية منذ أن بدأ الإنسان في اليمن القديم يصنع قوارب الصيد البدائية فالهضبة الأريتيرية كانت منذ القديم سوقاً تجارياً ومورداً لا ينضب لكثير من السلع المرغوبة كالأخشاب والتوابل والجلود وريش النعام.
- ولقد أكدت المعطيات الأثرية والنقشية على التواجد السبائي في الهضبة الأريتيرية منذ الألف الأول ق.م حيث أسست مستوطنات تابعة للدولة المركزية في سبأ، ثم بدأت هذه المستوطنات بالانفصال، ولق حدثاً مؤلف (الطواف) عن النشاط التجاري لليمن على الساحل الإفريقي ولقد وصل إبحارهم في إفريقيا إلى (سفالة) (موزنبيق) ومرافئ جنوب إفريقيا.³

¹ أسمهان سعيد الجرو، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص 33.

² وائل فتحي مرسي، المرجع السابق، ص 76.

³ أسمهان سعيد الجرو، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص 36.

(2) العلاقة مع الهند:

- للهند مع اليمن القديم علاقة تجارية لا تعرف بدايتها¹، ويرجح الدكتور عبد الله أبو الغيث أنها تعود إلى نبي الله يوسف عليه السلام²، فقد كانت للهند منتجات ومصنوعات يحتاج إليها المصريون والفينيقيون واليونانيون والرومانيون، وكان اليمنيون ينقلون تلك السلع بواسطة سفن شراعية بمساعدة الرياح الموسمية وفي القرن ميلادي وصل اليمنيون بسفنهم إلى الشواطئ الغربية للهند، وما يؤكد ذلك عثور البعثة الأمريكية في ميناء (سمرهم) علي تمثال لراقصة هندية يعود تاريخه إلى القرن الثاني ميلادي حسب رأي ألبرايت (Albright).
- وفي موقع العقلة بالقرب من شبوة عثر على نقش يذكر أسماء شخصيات أجنبية شاركت ملك حضرموت (إل عزليط) احتفالات تتويجه ملك على حضرموت من بينهم شخصان هنديان³.
- وكان أيضا لأهل (الأبله) تجارات مع الهند فكانت تصدر حاصلات العراق وبلاد الشام إلى الهند وتستورد منها أخشاب الأبنوس ومنتجات الهند المشهورة⁴.
- وقد كانت الرحلات الموسمية في المحيط الهندي تستغل الرياح الجنوبية الغربية في الصيف لذهاب إلى الهند، والرياح الشمالية الشرقية في الشتاء للعودة منها، وأيضا كانت هناك رحلات أخرى طول العام تقطع رحلتها بمحاذات الساحل برا وقد كان هناك العديد من الموانئ لتبادل السلع بين اليمن والهند أهمها باروجازا (Barugaza) في الهند وموزع (Musa) في اليمن.

(3) العلاقة مع مصر:

- لقد كان البحر الأحمر منذ أقدم العصور الطريق الذي حمل إلى العالم القديم مبادئ الاتصال الفكري والتجاري، وكان المصريون أول من شق عباب البحر الأحمر طلبا للسلع المقدسة التي من بينها البخور⁵، أو اللبان الذي كان أهم ما يجذب المصريين إلى جنوبي

¹ اسمهان سعيد الجرو، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص36.

² عبد الله أبو الغيث، المرجع السابق، ص03.

³ أسمهان سعيد الجرو، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص36.

⁴ محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص59.

⁵ أسمهان سعيد الجرو، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص36.

الجزيرة إذ كانوا يحرقونه في هياكلهم ويستعملونه في تحنيط موتاهم، حيث أنه عندما تمكن الفراعنة من ضم أرض بونت إلى نطاق الإمبراطورية المصرية التجارية نظموا حملات شتى سارت إلى أرض بونت في طلب (المرو الصموغ العطرة والراتينج والأخشاب الزكية)¹ أولها رحلة الملكة حتشبسوت نحو 1500 ق.م وقد خلدت هذه الرحلة على جدران المعبد² المصري الكبير ب (دير البحري) بالقرب من طيبة بمجموعة من الرسوم الحسية الملونة والبارزة تحكي ذكرى رحلة الأسطول المصري الذي عاد محملاً بالبخور وبشجرة من الطيب والعاج.³ وكان الاتصال بين مصر وبلاد يونت - أي جنوب الجزيرة العربية كان يتم بواسطة السفن في الآونة التي سبقت وصول الجمال إلى شبه الجزيرة العربية.⁴

- ويعد أقدم دليل مادي على الاتصال التجاري بين اليمن القديم ومصر عدة من النقوش نذكر منها نقش RES 3427 عثر عليه في سقارة بالقرب من الجزيرة (مصر)، تحت النص على تابوت خشبي لتاجر معيني يعود تاريخه إلى القرن الثاني قبل الميلاد، يدعي صاحبه (زيد الزيد) كان يستورد الطيب للمعابد المصرية ويحتوي النص على كلمات فرعونية اختلف الباحثون وعلماء الساميات في تفسيرها إلا أن مضمون النص يقيد بأن هذه التاجر معيني وكان يجلب أنواعاً من المرور البخور لبيوت الآلهة المصرية كان ذالك في عهد بطليموس حوالي عام 164 ق.م وقد كان أعترف بوجود دين عليه وقد وفى دينه، ودفن وفقاً للطقوس الأوزيرية⁵.

كما عثر في مصر على ثلاث مخريشات كتبها تاجر يمني، كما عثر أيضاً في اليمن على عدد من النقوش تتحدث عن التجارة مع مصر وغزة وآشر و سوريا.

¹ حسن الشيخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م، ص179.

² أنظر الملحق رقم 03، ص108 .

³ عبد القادر محمد بافقيه وآخرون، مختارات من النقوش اليمنية، المنظمة العربية والثقافة والعلوم، 1975م، ص293.

⁴ صالح الويس، المرجع السابق، ص36.

⁵ جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص35-37.

والى جانب النقوش عثر المنقبون عن الآثار على عدد من القطع الأثرية المصرية الأصل وأخرى يمنية الصنع تحمل تأثيرا مصرياً ومن بينها جعل (جعران) يحمل اسم الملك أمنحتب الثالث 3

يعود إلى القرن 15 ق.م وأيضاً لوحة صغيرة من حجر (الأسياتيت) صور على أحد وجهيها رجل واقف يتقدمه صل ثعبان من الكوبرا وعلى الوجه الآخر صقر يعلو رأسه قرص يعود تاريخه إلى القرن الخامس ق.م¹.

4) العلاقة مع شمال شبه الجزيرة العربية:

- أقدم إشارة للاتصال البري بين جنوب وشمال الجزيرة العربية هي تلك التي جاءت في كتاب العهد القديم بحسب ما ذكرته الدكتور أسهمان الجرو، والتي تصف زيارة ملكة سبأ الى الملك سليمان ابن داود، وأكد القرآن تلك الزيارة في (سورة النمل)، إن هذه الإشارة لا تعني بالتأكيد- أن أول اتصال بري تم في ذلك العهد أي القرن 10 ق.م بل ربما سبق ذلك بفترة، فمن المحتمل أن تكون شبه الجزيرة العربية قد انفتحت علي أجزائها منذ عهود موغلة في القدم، فتضاريس شبه الجزيرة العربية لا تحول أبداً دون الحركة الداخلية كما أن الحدود السياسية لم تكن معروفة بعد، لذا فالجماعات البشرية كانت تنتشر أينما استطاعت بحثاً عن الأرض الخصبة ومناهل المياه، فقد سهلت تلك الطبيعة الاتصال التلقائي والذي تحقق بشكل واسع بعد أن توطدت دعائم الدولة المركزية في اليمن في نهاية القرن 03 م.²

- وإذا رجعنا الى تاريخ بلاد الرافدين لوجدنا أن السومريين قد اتصلوا ببلاد العرب منذ فجر تاريخهم، وهذا أمر متوقع لأن بلاد العرب هي الجار الغربي للعراق، ولا يوجد حواجز طبيعية-كما ذكرنا سابقاً- تعيق هذا الاتصال ماعد مشقة الصحراء، وفي الحقيقة هذا ليس عائقاً لأن البدو تعودوا على الطبيعة الصحراوية، ومن بين أدلة التواصل بين الرافدين وعرب الجنوب نجد علي أحد تماثيل الملك (نرام-سين) حوالى (2300 ق.م) يقص أنه أخضع بلاد (ماجان) وهزم زعيمها (ماينوم) ويرد ذكر ماجان في نص آخر عندما ذهب إليها (جوديا) كبير كهنة (لجش) وحاكمها ليحضر منها ومن بلدة (ملوخا) خشباً وحجراً لبناء معبده وليس هذان

¹ إسمهان سعيد الجرو، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص 37-38.

² نفسه، ص 39.

البلدان إلا إسمين لبلدتين من البلاد التي أسسها اليمنيون على طريق التجارة في شمال الجزيرة العربية في ذلك العهد البعيد.¹

- ولقد كانت القوافل الوسيلة الأساسية التي ربطت بين جنوب وشمال شبه الجزيرة العربية مارة بسلسلة من الواحات في الحجاز حتى منطقة (ددان العلا) شمال (وادي القرى) ومنه إلى بلاد الشام، على طول تلك الطريق أسس اليمنيون لهم مراكز تجارية أكدتها النقوش ومنها نقوش المستوطنة المعينية في (ددان العلا)، ويعود تاريخها إلى القرن 04 ق.م ويوجد أيضا نقوش يمنية تذكر الصلات التجارية بين اليمن آشر (سوريا) وغزة ومنطقة (نهرن) وربما المقصود بها الأردن وصيدا وصور ويثرب وغيرها وتشير الدراسات الى تأثر الزخرفتين السورية واليمينية ببعضهما، كما أنه يوجد نماذج من المباخر ذات النذور من الطيب بشكل مكعب مع تزيين هندي انتشر في الشرق الأوسط كله منذ منتصف الالف الأول ق.م عثر على عدة منها في فلسطين وسوريا، كما يرى بعض علماء الآثار أن الأوعية الزجاجية في اليمن من الشام ومصر، وحتى المصنوعات المحلية كانت لا تخلو من التأثير الخارجي²

5) العلاقة مع الحضارة اليونانية والرومانية والهلنستية:

أ) التأثير اليوناني:³

- تؤكد المعطيات الأثرية والنقشية المكتشفة في اليمن وفي بعض الجزر اليونانية، على وجود صلات تجارية وحضارية بين اليمن القديم و الحضرات اليونانية، فلقد ترك لنا التجار اليمنيون آثار تؤكد وصولهم إلى تلك البقاع والذات إلى جزيرة (ديليوس) في بحر إيجه، فقد وجد مذبح نحت عليه نقش بخط المسند وبالذات باللهجة المعينية عبارة عن إهداء للإله (ود) إله معين الرئيس، فقد كتب ذلك الإهداء باللغة المعينية وباللغة الإغريقية، أما في اليمن فقد عثر على عدد من القطع الأثرية أبرزها العملات البرونزية ذات الطابع الأثيني يعود تاريخها إلى 04 ق.م.

¹ أحمد فخري، دراسات في الشرق القديم، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.م.ن)(د.ت)، ص133-134.

² أسمهان سعيد الجرو، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، المرجع السابق، ص39.

³ نفسه، ص40.

(ب) التأثير الهلنستي والروماني:

- كان تأثير الفنين الروماني والهلنستي واضحا في الفنون اليمنية، فهناك الكثير من التماثيل والرموز التي عثر عليها في اليمن منها: التمثال البرونزي¹ - للملك الحميري (ذمار علي) - الذي امتاز بضخامة غير معهودة في التماثيل اليمنية ويحتمل أن هذا التمثال جلب بعد صبغه في بلاد الرومان، وأعيد تركيبه في اليمن على أيدي مهرة يمنين، كما يرى بعض علماء الآثار أن بعض الأشكال الفنية والرموز الموجودة في جنوب شبه الجزيرة العربية مقتبسة من زخارف الشرق الروماني منذ القرن الأول ميلادي².
- أما الفن الهلنستي فيبدو واضحا على كثير من القطع منها ذلك الإناء الذي عثرت عليه البعثة الأثرية في وادي (ضراء) يحمل أشرطة مزينة بالحيوانات لمشاهد صيد وملابس الصيادين حمل لمسات الفن الهلنستي، كما عثر أيضا في خرائب تمنع على تماثيلين لأسدين من البرونز يمتطي كل منهما طفل وقد أكد العلماء على أنه نموذج من الفن الهلنستي المتأخر، وفي قاعدتهما عثر على كتابة بخط المسند³.
- إضافة إلى النماذج المتنوعة التي أوردنا ذكرها كشفت البعثات الأثرية، على بعض القطع، والأختام التي تحمل لمسات الفن الأخميني في القرنين السادس والرابع قبل الميلاد⁴

¹ أنظر الملحق رقم 04، ص 109.

² أسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص 87-88.

³ نفسه، ص 88.

⁴ نفسه، ص 89.

IV- المبادلات التجارية.

(1) الصادرات :

- تاجر قدماء اليمنيين بكثير من البضائع التي كانت لها رواج كبير لدى الشعوب القديمة، كمصر، وبلاد الرافدين وحضارات البحر المتوسط، وقد انقسمت الصادرات إلى سلع تنتج محليا و سلع تجلب من شرق إفريقيا وأخرى تجلب من الهند وسيلان.

(أ) سلع محلية :

- النباتات العطرية (اللبان-المر-البخور):

وقد كان في طليعة السلع التي تنتجها اليمن محليا اللبان والمر وهما من السلع المقدسة وقد شكل تصديرها إلى الأسواق العالمية مصدرا حقيقيا لشهرة اليمن قديما وقد كان لهذه المنتجات أهمية عظيمة في الطقوس الدينية فقد كان يحرقا قربانا للآلهة¹، وهتان المادتان هما عبارة عن راتينجات صمغية تتحلل من الأشجار وتحوي كمية قليلة من الزيت الطيار،

المسبب لرائحتهما العطرة، كان يستعملان بمفردهما تحرقان عادة، وفي حالة المر، تستعملان مرهم أو ممزوجين مع مواد أخرى لصنع المراهم والعطور والزيوت الخاصة بالتحنيط والأدوية لكل نوع من الأمراض، والبخور هو مركب ينثر عادة على الجمر فيطلق دخانا معطرا، كان اللبان والمر فعالين في طرد الروائح الكريهة والحشرات الضارة وقد كان لهذه النباتات العطرية شهرة كبيرة لدى الشعوب القديمة وازداد عليهم الطلب² فكان

السومريون و البابليون يحرقونه لتطهير، واسترضاء الآلهة، واستخدمه الفراعنة تقريبا للآلهة، كما نجد في كثير من معابد الآشوريين أعمدة عالية للروائح تفصل بين الملك والإله وبين رعاياه وعند العبرانيين فإن دخان الروائح كان يخفي حضور الإله في الخيمة المقدسة، واستخدم الفرس أيضا الروائح في عبادتهم وكان الإغريق والرومان يحرقون البخور بكميات كبيرة في معابدهم وفي ديانات الشرق الأقصى شكل إحراق الروائح جزءا مهما من الطقوس الدينية وفي الهند أيضا كان يستعمل بكثرة لنفس الغرض، واستخدم أيضا في عملية التحنيط

¹ أسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص55- 56 .

² ربرت هيلند، تاريخ العرب في جزيرة العرب، تر: عدنان حسن، قدس للنشر والتوزيع، بيروت، 2010م، ص171.

لدي المصريين وأيضا مستحضرات العطور والتجميل وقد كان البخور يخزن في المعابد ويشرف الملك بنفسه على بيعه¹.

- ويرى الدكتور عبد القادر بافقيه أن البخور كان ينتج في بلاد الحضارم وهم جماعة من السبئيين تقوم عاصمتهم شبوة فوق جبل عال وعلى بعد مراحل منها في اتجاه شمال الشرق تقع منطقة إنتاج اللبان المعروفة باسم سبأ، والسبئيون هم وحدهم من دون العرب الآخرين الذين أتيح لهم أن يرو شجرة البخور وتحتكر ذلك الحق ثلاثة آلاف أسرة مقدسة لها طقوس معينة تتبعها عند جني اللبان وبسبب تلك الطقوس الدينية صارت أسعار تلك السلعة مرتفعة كما أن الحصاد يتم مرة واحدة في السنة²، ويقال أن شجرة اللبان ليست طويلة إذا يبلغ ارتفاعها نحو خمس أذرع وهي كثيرة الأغصان ورقتها صغيرة الحجم ذات لون أخضر وشجرة المر أقل ارتفاعا من شجرة البخور ولها ساق خشن³.

- سلع يستخرج منها العقاقير الطبية:

- لقد كانت مدن العالم القديم سوقا رائجة لتجارة هذا النوع من السلع التي هي في الغالب أعشاب طبية يستخرج منها عقاقير لمعالجة الكثر من الأمراض ومن بين مئات هذا النوع من السلع الذي أستخدم كعقار طبي كالاتي :
- أ- المر : والذي سبق وأن تكلمنا عن استعمالاته الطبية.
- ب- الصبر: والذي ينتمي إلى فصيلة (الزنبقيات) له طعم مر أجوده الصبر السقطري يستخدم لعلاج أمراض الصدر وغيرها من الأمراض .
- ت- الصمغ: يستخدم كمادة طبية⁴.
- ث- القرفة: هي من المواد الثمينة أستعمل قشرها ودهنها.
- ج- المسك والعنبر: أستخدم أيضا لأغراض طبية⁵.

¹ إسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص56-57.

² عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص172-173.

³ ربرت هيلند، المرجع السابق، ص135

⁴ أسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص57.

⁵ جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص238.

- سلع تستخدم لأغراض صناعية:
- العطور وهي أشهر صناعات اليمنيين القدماء فقد أجمع المؤرخين على أن شذي بلاد العرب يفوح من مسافات بعيدة ويقول ديو دروس نقلا عن إسمهان الجرو: (تفوح في طول البلاد وعرضها روائح عطر طبيعي)¹، وقد بالغ (سترابو) في وصف البلاد ثراء السبئيين بسبب إبتجارهم بنوع من العطور الزكية دعاها باسم (اللاريم)²، ومن أشهر مواد صنع العطور المسك الذي يستخرج من حيوان بري يدعى (قط الزباد) والعنبر الذي يجمع من الشواطئ.
- وقد توفر في اليمن القديم العديد من النباتات التي استخدمت في صناعة الملابس والأغراض المنزلية وأهمها الزعفران أو الكركخة، وهو نوعان زعفران أصفر نقي، والزعفران العربي أو الورس وكلاهما يستخدم في الصباغة وفي صناعة العطور بالإضافة للاستخدامات طبية وكنوع من التوابل أيضا.
- ونجد أيضا مادة أخرى تستخدم في الصباغة تستخرج من شجرة (دم الأخوين) التي تنمو في سقطرى³.
- بالإضافة الى السلع التي ذكرناها يذكر الدكتور جواد علي أن بلاد العرب الجنوبية في كتب اليونان والرومان التوراة بلاد غنية ذات خيرات كثيرة من ذهب وفضة وحجارة كريمة كما أن أرضهم خصبة يكثر فيها النخيل والأشجار وإنتاج العسل وكان لهم قطعان كبيرة من الماشية⁴.
- وهناك مجموعة من الوثائق المصرية القديمة تسلط الضوء مواد أخرى صدرها سكان الجزيرة العربية إلى مصر وهي الصوف وشياه الضأن وحيوانات التحميل بالإضافة إلى شجرة شائكة تدعى شجرة (السنت)⁵.

¹ أسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص58.

² جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص58.

³ اسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص59.

⁴ جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص235.

⁵ سعيد بن فايز إبراهيم السعيد، العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2003م، ص106-107.

(ب) سلع تجلب من شرق إفريقيا:

- يأتي العاج في مقدمة هذه السلع حيث كان يستعمل في التطعيم، والترصيع، وحشو قطع الأثاث الفاخرة، كما يستخدم في صناعة المواد العاجية، وإلى جانب العاج مان الأفرقة يصدرون ريش النعام، كما كانوا يتاجرون بالرقيق¹، وأيضا يجلبون من شرق إفريقيا التبر وخشب الأبنوس وريش النعام والقرود²

(ج) سلع تجلب من الهند وسيلان:

- تاجر اليمنيون قديما يجلب البضائع الشرقية القادمة من الهند وسيلان، والإتجار بها فكانت البهارات (الأخاويه) أو (الأفاويه) تأتي على رأس قائمة تلك السلع التي كانت تلقى رواجاً عالمياً كبيراً، والمعروف أن معظم التوابل تأتي من الهند، إلا أن أنواعاً منها تنتج أيضاً في اليمن القديم والحبشة، وأشهرها الفلفل الهندي والكافور والزنجبيل القرنفل وأيضا الحرير الذي يجلب من الهند والصين وسيلان، وهو من البضائع الشرقية الفاخرة التي كان الطلب عليها كثيراً لدى الرومان والبيزنطيين ومن السلع أيضاً التي تجلب من الهند وسيلان المنسوجات القطنية والحريرية والكتانية المطرزة بخيوط من الذهب والفضة³.

(2) الواردات:

- إن أهم السلع التي يستوردها الشرق عن طريق اليمنيين جاء ذكرها في كتاب (الطواف حول البحر الأريتيري) وقد جاء فيه ذكر القمح والنبذ والملابس والنحاس والقصدير وغيرها من البضائع المصرية التي كانت تصل إلى ميناء موزا وقنا وفي فقرة أخرى يشير المؤلف إلى أن اللؤلؤ يرد من عمان إلى قنا كما يذكر أن مدينة (أبولو جوس) في (بارثيا) كانت تصدر اللؤلؤ والذهب ومواد أخرى إلى العربية السعيدة ويأخذون بضائعهم شرق إفريقيا⁴ وكان يردها من البضائع أنواع الأقمشة الأرجوانية، ناعمها وخشنها وألبسة خيطة علي الزي العربي ذات أردان قد تكون بسيطة أو عادية مطرزة أو موشاة بالذهب والزعفران وقصب الذريرة وأنسجة القطن الشفافة والأعبئة والأحزمة وهي ليست كثيرة بعضها بسيط

¹ أسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص 89.

² محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 89.

³ أسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص 59.

⁴ نفسه، ص 60.

وبعضها مصنوع على الطريقة البلدية¹، وكانوا يجلبون من الساحل الإفريقي الخشب اللازم لصناعة سفنهم بالإضافة إلى العاج والتوابل والرقيق²، كان سكان جزيرة العرب يستوردون المصنوعات المعدنية مثل السيوف الهندوانية أي المصنوعة بالهند، كما عثر المنقبون على مصنوعات معدنية تبين لديهم أنها من مصنوعات الرومان مما يدل على أنها استوردت من الخارج أو أن العمال اليمنيين عملوا على محاكتها.³

¹ أحمد حسن شرف الدين، المرجع السابق، ص 146.

² محمود عرفة محمود، المرجع السابق، ص 259.

³ جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص 237.

الفصل الثالث: أثر و دور التجارة في ازدهار ممالك اليمن القديم.

- (1) تأثير ودور التجارة على الوضع السياسي بين الممالك.
- (2) تأثير ودور التجارة على أوضاع الممالك الإقتصادية.
- (3) تأثير ودور التجارة على أوضاع الممالك الإجتماعية.
- (4) تأثير ودور التجارة على الوضع الديني في الممالك.
- (5) دور الممالك في تقدم النشاط التجاري وازدهاره.

- ارتفعت وتيرة النشاط التجاري لممالك اليمن القديمة - على الأرجح - منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد وخلالها حيث أن اقتصاد هذه الممالك اعتمد على التجارة كنشاط أساسي وقد أدى ذلك إلى ذبوع صيت هذه الممالك في أهم مناطق العالم القديم آنذاك بالإضافة إلى تأثيره على الممالك نفسها وفي مختلف المجالات ، فبعد أن تأسست الممالك فعليا في جنوب شبه الجزيرة العربية وصارت تدير مجريات الأمور هناك وتنظيم أشكال العلاقات التي تتحكم بمناحي الحياة، أخذت التجارة تؤدي دورا أساسيا، بل محوريا في استمرار هذه الممالك وكذلك في ازدهارها على مدى القرون اللاحقة فانعكست تأثيراتها على أوضاع الممالك السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بحيث أملت على الممالك واقع تحديد علاقات بعضها ببعض وعلاقتها مع الخارج، كما أن تدفق الثروات الناتج عن النشاط التجاري ساهم بقسط وافر في تقدم الأنشطة الاقتصادية الأخرى ومن ثم تطور العلاقات الاجتماعية التي سادت في هذه الممالك بالإضافة إلى تأثيرها على الجانب الديني من حيث بناء المعابد وشكل العبادة.¹

¹ العودي حمود، المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي - دراسة عن المجتمع اليمني، ط2، (د.ن.)، (د.م.ن.)، 1989م، ص66-68.

1- تأثير ودور التجارة على الوضع السياسي بين الممالك:

- في الواقع، لا يمكن الادعاء بأن التجارة هي من حددت الشكل السياسي للممالك اليمنية القديمة، غير أنها كان لها دورا مهما في صياغة أشكال العلاقات السياسية التي نشأت بين هذه الممالك، على اعتبار أن التجارة هي النشاط الاقتصادي الوحيد الذي شكل قاسما مشتركا فيما بينها - على الأقل - طيلة القرن الأول قبل الميلاد، فتراوحت هذه العلاقات بين السلم والحرب بما يحقق هذه المصلحة المشتركة.¹

وقد كان هناك عدة أسباب تجعلها تسلم بأن التجارة كان لها الدور الأساسي في بلورة العلاقات التي سادت بين ممالك اليمن القديمة في عهد ازدهارها وهي كما يلي :

* قلة الصراعات بين الممالك حتي القرن الثاني من الألف الأول قبل الميلاد وولاء الشعوب للممالك وهو زمن شهد ازدهار التجارة البرية.²

* اعتماد الممالك في اقتصادها على التجارة والزراعة إضافة إلى تنمية الثروة الحيوانية والحرفية والابتعاد قدر الإمكان في نشاطها الاقتصادي على الغزو والتوسع على حساب الممالك المجاورة لها.

وبالتالي فالسلام كان هو القاعدة والأساس الذي حكم العلاقة بين هذه الممالك باستثناء بعض الحروب، ويبدو أن النشاط التجاري كان إلا حد ما هو السبب في قيام هذين الشكلين من العلاقات بين الممالك والسطور التالية ربما تحمل التبريرات المقبولة لكل ما جاء أعلاه، وتوضح أثر التجارة على مصير السلام والحرب بين هذه الممالك على النحو التالي :

1) التجارة والعلاقات السلمية بين الممالك :

- بما أن التجارة كانت عاملا أساسيا لنشأة ممالك اليمن القديمة، فإنه من المعقول الافتراض بأن علاقات سليمة سادت بين الممالك، منذ البداية ولزمن طويل مما أتاح الفرصة أمامها للظهور والازدهار، ويبدو أن الممالك هيأت بطريقة ما نظاما مشتركا تمكنت عن

¹ عبد الله الحسن الشيبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ط1، مكتبة الوعي الثوري، تعز، 1999م، ص37.

² نبيل عبد الوهاب السروري، الحياة العسكرية في دولة سبأ، دراسة من خلال النقوش محرم بلقيس، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء رقم(2)، صنعاء، 2004م، ص116-117.

طريقه من تنظيم النشاط التجاري وإدارته فيما بينها داخليا وخارجا بما يضمن نصيب كل مملكة في النشاط، إذ أن بعض الممالك كانت تسيطر على السواحل الجنوبية التي تصل إليها سلع شرق إفريقيا والهند، وبعضها كانت تنتج أهم المحاصيل مثل اللبان والمر، وبعضها كانت موجودة في طريق القوافل ومنها كانت تمثل البوابة الشمالية لطرق التجارة البرية المتجهة نحو العراق وسوريا ومصر، وبالتالي فالممالك احتاجت بعضها البعض وظل التكامل بينها لقرون عديدة في الألف الأول من الميلاد¹، ومن ثم فإن التجارة كانت بمثابة وحدة اقتصادية اتفقت عليها الممالك وعاشتها واقعا آنذاك وهو الأمر الذي يدعم مسألة تأثير النشاط التجاري في تقرير شكل العلاقة السياسية بين هذه الممالك ومنه فإنه كانت حاجة الممالك للأمن والاستقرار و السلام أكثر من حاجتها لإشعال الصراعات والحروب فيما بينها، وهذا ما تثبه الكثير من الشواهد التاريخية لعلها التطور الهائل للبنية التحتية لليمن القديمة بالإضافة لإزهارها في كافة المجالات فهذا الازدهار لا بد وأنه احتاج لثروة كبيرة ما كان لليمن الحصول عليها لولا اشتغالهم بالتجارة، أما فيما يتعلق بخلق بالمناخ السياسي المستقر فيبدو أن النشاط التجاري المشترك بين الممالك هو الذي فرض عليها أن ترتضيه أساسيا، ضمن أسس العلاقات التي ربطت بينها.²

(2) الصراع بين الممالك وأثره على التجارة :

- من الطبيعي أن تتدلع الصراعات وكذلك الحروب بين ممالك وأخرى طالما كانت متجاورة مدة قرون من الزمان، وطالما جمع بينها نشاطا اقتصاديا مشتركا كان يعود عليهم بربح كبير وهذا قد ما يشعر بعض الممالك بشيء من القوة بحيث تتدفع نحو مزيد من الكسب فيتبع ذلك تصدي أو رد العدوان من قبل الممالك الأخرى المتضررة وخير مثال حروب كرب إيل وتر حيث، إن مملكة أوسان في عهد الملك مرتع عرفت ازدهارا كبيرا بفضل نشاطها التجاري.
- فوجدت في نفسها القوة الكافية لمد نفوذها على حساب قنبان وحضرموت بالذات ومن المرجح أن يكون هدة فيها زيادة تحكمها بالنشاط التجاري من خلال سيطرتها على كل السواحل الجنوبية وكذا مناطق إنتاج أهم المحاصيل المطلوبة خارجا وأيضا السيطرة على

¹ عبدالله حسن الشيبية، دراسات في تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص37.

² نفسه، ص39.

بدايات الطريق البري، واستغلت مدم الجوف هذا الاضطراب لتضييق الخناق على مملكة سبا ولتحقيق مزيد من المكاسب على حساب ذلك التوازن في النشاط التجاري بين الممالك.

- الواقع يبدو، أن موقف مملكة سبا وردة فعل (كرب إيل وتر) اتجاه تحركات مملكة أوسان العدائية، بالإضافة إلى ما قامت به ممالك الجوف يدعم الأطروحة القائلة بأن النشاط التجاري كان له الدور الكبير في نشوب الحروب والنزاعات بين الممالك لا سيما أن النظرية تتجه نحو احتمالية أن تكون أهداف (كرب إيل وتر) هي السيطرة على طرق التجارة بين السواحل الجنوبية وشمال شبه الجزيرة العربية، أو على الأقل إعادة التوازن السابق للنشاط التجاري ونجد عدة أسباب تدفع بهذه الطروحات إلى دائرة الضوء ومنها :

* أن معظم حملات مملكة سبا التي يتفاخر بها (كرب إيل وتر) كانت ضد ممالك أوقفت مصالح سبا التجارية مثل التي وجهت ضد أوسان وممالك الجو والتي أرسلت فيها سبا حضرموت وقتبان على وجه الخصوص علما أن أوسان كانت قد أضرت هاتين المملكتين باقتطاع الكثير من أراضيها وهذا ما يدل على أن مملكة سبا كانت تضررت كثيرا بشكل مباشر أو غير مباشر من اعتداءات أوسان تلك، وأغلب الضن أن الضرر كان اقتصاديا¹، وبالتالي فإن حروب (كرب إيل وتر) الذي خاضها ضد أوسان وممالك الجوف تعد نموذجا مثاليا لمعرفة أثر النشاط التجاري في تفجير الصراعات والحروب بين ممالك اليمن القديمة على الرغم من قلتها - في زمن ازدهارها في الألف الأول قبل الميلاد وقد ظلت حروب سبا بعد زمن كرب إيل وتر تعطي ذات الانطباع حول موقف النشاط التجاري بالنسبة لتلك الحروب فمعظم الحروب التي خاضتها كانت ضد تتعطي التجارة كمصدر اقتصادي مهم مثل حربها قتيان بعدما كانت حليفة لها.²

* عموما كانت التجارة راية سلام ، او طبل حرب في العلاقات التي سادت بين الممالك فإنها دون شك ساهمت مساهمة كبيرة في إقامة العديد من التحالفات التي كانت تظهر فيما بينها في أوقات السلم أو الحرب ،وهي تحالفات تحكمها طبيعة المصالح المشتركة بالطبع

¹ عبدالله حسن الشيبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص35-38.

² عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص29.

مثل تحالف مملكة (قنبان) مع مملكة (معين) في القرن الأول من الميلاد وغيرها من التحالفات الأخرى.¹

II- تأثير ودور التجارة على أوضاع الممالك الاقتصادية:

- كان تأثير النشاط التجاري لممالك اليمن القديمة على بقية الأنشطة الاقتصادية إيجابيا خاصة في مجال الزراعة وتربية الحيوانات وكذلك الحرف، بل وامتد تأثير هذا الازدهار إلى مجالات جديد و أنشطة تمكنت الممالك من خلالها من زيادة مواردها الاقتصادية، ولقد تمكن هذا التأثير من تحسين أحوال غير قليلة من السكان، وتم من خلالها ابتكار حرف ومهن جديدة لم يعرفها الناس من قبل ، فكانت النتيجة ازدهارا اقتصاديا عاشته الممالك قرونا عديدة في الألف الأول قبل الميلاد.

1) تأثير التجارة على النشاط الزراعي:

- كان لنجاح الممالك في النشاط التجاري تأثيرا واضحا في ازدهار الزراعة² فعلاقة الزراعة بالتجارة علاقة قديمة كما ذكرنا سابقا غير أن هذه العلاقة شهدت تطورا نوعيا وكميا غير مسبوق، فإذا كانت الزراعة زودت النشاط التجاري بأهم المحاصيل مثل (البخور واللبان والمر) على وجه الخصوص ، فلا بد وأن عائدات النشاط التجاري ساهمت في ذلك التقدم الهائل التي شهدته الزراعة وأنظمة الري، فلم يكن من السهل تطوير أنظمة الري، فلم يكن من السهل تطوير أنظمة الري وبنا السدود بدون العائدات التجارية، فقد تطلبت عملية بناء وتشيد المرافق الزراعية وأنظمة الري موارد هائلة وأبرز مثال على ذلك بناء سد مأرب³

2) تأثير التجارة على الأنشطة الاقتصادية الأخرى:

- ظهر تأثير النشاط التجاري على الأنشطة الاقتصادية الأخرى غير الزراعة إلا أنه تفاوت ما بين التأثير المباشر وغير مباشر ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

أ) التأثير المباشر للتجارة:

- وهو التأثير الذي أدى إلى ظهور مهن وأنشطة أنشطة وموارد اقتصادية، ربما يمكن لها أن تظهر مالم يحقق النشاط التجاري نجاحا ومكاسب ساهمت مساهمة كبيرة في ازدهار

¹ عبدالله حسن الشيبية، دراسات في تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص32.

² محمد عبدالقادر بافقيه، المرجع السابق، ص185.

³ عبد الله يوسف محمد ، المرجع السابق، ص73.

الممالك وفيما يلي نستعرض أهم تلك المهن والأنشطة ونبين مدى ارتباط وجودها بسير عمليات التجارة في مختلف مراحلها.

أ- 1- مهن وأنشطة ارتبطت بظهور نظام القافلة:¹

- تعتبر هذه المهن من أهم مقومات نظام القافلة، التي يلتزم مالك القافلة بتأمينها والحرس على اكتمالها قدر الإمكان فهي ضرورية منذ تجهيز القافلة وانطلاقها الى غاية عودتها، وقد كانت هذه المهن والأنشطة تساعد القوافل على تحقيق الاهداف التي خرجت من أجلها وأهمها:

- رئاسة القافلة.

- حراسة القافلة.

- مرشد القافلة.

- القائمون على شئون القافلة.

- بقدر ما يمكن أن تكون هذه المهن قد وفرت مردود وفير لأصحاب هذه القوافل، فإنها شكلت موارد اقتصادية ليس فقط لممتلكيها من سكان ممالك اليمن القديم، بل ولكل من تمر عليهم القوافل على امتداد طرق التجارة البرية، ويبدو أن نظام القوافل قد أدى الى خلق واقع اقتصادي غير معهود بسبب طول المسافة التي تقطعها القوافل التجارية، ومن اهم مظاهر هذا الوضع الاقتصادي المزدهر ظهور محطات الراحة التي احتاجت لها القوافل وتركزت أغلبها حول مواضع المياه، وقد وفرت لسكانها إمكانية اقتصادية كبيرة بحكم ما يقدمونه من خدمات لأعضاء القوافل².

¹ جواد على، المرجع السابق، ج7، ص234-235.

² هادي صالح العمري، طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م، ص55-56.

أ-2 مهن وأنشطة ارتبطت بظهور الموانئ وازدهارها:¹

- أدت الموانئ دورا مهما في النشاط التجاري للممالك اليمن القديم وارتبط ذلك بازدهار التجارة البرية فأصبحت هذه الموانئ بوابات جنوبية تستورد وتصدر السلع، وأصبحت فيما بعد مدنا وأسواقا رائجة ومن المفترض أن النشاط التجاري على بر هذه الموانئ وبحرها قد ساهما في ظهور مهن وأنشطة أهمها:
- * مشرف الميناء أو الحاكم.
- * جابي الضرائب وخازن المال.
- * العاملون في مخازن السلع والبضائع.
- * العاملون على ترتيب شؤون السفن وكذلك القوافل الواردة للنماء.
- * التجار المحليون.
- * الحراسة أو الحامية.
- ما فيما يتعلق بالأنشطة المرتبطة بوسائل النقل البحري، فيبدو أنها تمثلت في قائد السفينة، الملاحون، الذين يخدمون على السفن، وهكذا يمكن تصور حجم الحركة و النشاط في هذه الموانئ وما وفرتة من إمكانيات².

أ-3 مهن وأنشطة ارتبطت بالمراكز التجارية والأسواق :

- ظهرت المراكز التجارية والأسواق بفضل ازدهار التجارة وخير شاهد على ذلك هو ظهور الكثير من الاسواق والمراكز التجارية على امتداد طرق التجارة البرية وتحول البعض منها إلى مدن ذاع صيتها بسبب مكانتها التجارية وقد إنهار العديد منها بعد تراجع نشاطها التجاري.
- ساهمت الاسواق والمراكز التجارية في ظهور مهن وأنشطة جديدة ساهمت في تنظيم الأسواق ونشاطاتها وأهما :

¹ حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ط2، دار العودة، بيروت، 1981م، ص77-78.

² نفسه، ص79.

- مشرف (كبير السوق)، جابي الضرائب، أصحاب المتاجر، الكتبة، الحراس بالإضافة إلى مهن أخرى مثل القائمون على القوافل.¹
- من كل ما تقدم فإن النشاط التجاري بفعل تأثيره في نشأة المراكز التجارية والأسواق وكذلك ازدهارها يكون قد ساهم منطقيا في خلق المهن والأنشطة الاقتصادية التي ذكرناها سابقا.

(ب) التأثير غير المباشر للتجارة :

- لئن كانت التجارة مصدرا مهما من مصادر الثروة التي حازت عليها ممالك اليمن القديمة، فقد ظهر لها تأثيرات غير مباشرة على بعض الأنشطة الاقتصادية التي لم يرتبط ظهورها ولا أدائها بخطوات سير العملات التجارية وإنما بحيث أصبحت تشكل موردا مادي هامة للممالك بل أيضا للشعوب ولم أمتنها من السكان، بل وساهمت في ازدهار النشاط التجاري في حد ذاته² وفيما يلي سنتكلم عن أهم هذه الأنشطة وأثر التجارة عليها :

ب-1 في المجال الحرفي :

- أهم مهام التجارة في التاريخ القديم الترويج لكل ما تنتجه الأنشطة الاقتصادية الأخرى، ومن منتجات بما فيها المجال الحرفي وبالتالي فقد أثرت التجارة مباشرة على تقدم الإنتاج الحرفي وازدهاره من خلال من تصريف منتجات النشاط الحرفي، غير أن التأثير الغير المباشر للتجارة في هذا المجال ظهر من خلال دورها في تقدم تقنيات بعض الحرف لعل أهمها :حرفة البناء، وحرفة بناء التماثيل الحجرية والبرونزية³.
- فيما يخص حرفة البناء كانت الثروات محفزا لها للقيام بالمشروعات الإنشائية الكبرى، ممثلة في العمارة الضخمة (سدود، قصور، معابد) وغيرها من المنشآت التي لا زال أثر بعضها باقيا كخير شاهد على تقدم حرفة البناء.⁴

¹ باوير، ج، م ولوندين، تاريخ اليمن القديم جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور، تر: أسامة حمدان، ط1، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، 1984م، ص31.

² عبدالله حسن الشيبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص76.

³ جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص236. أنظر الملحق رقم 05، ص110.

⁴ نفسه، ص236.

- كما أن الازدهار التجاري للممالك عاملا مهما من عوامل تطور تقنيات البناء وفنونه، فهذا الازدهار أتاح لها الاستمرار في عملية البناء والتوسع في العمران وهذا ما جعلهم يعرفون تطورا كبير في مجال تقنيات البناء كما وقد أدى الاتصال بالحضارات الأخرى عن طريق العلاقات التجارية إلى انتقال الكثير من التأثيرات الفنية كما ذكرنا سابقا، الهيلينية واليونانية القادمة من العراق وسوريا، لا سيما في مجال زخرفة البناء التي ظهرت على الأعمدة والجدران، ويمثل قصر (شقر) في شبوة نموذجا جيدا لوجود مثل هذه التأثيرات.¹

ب- 2 في مجال تربية الحيوان:

- من خلال التأثير المباشر للتجارة على مجال تربية الحيوان، الذي يظهر في أسواق بيع الماشية وشراءها، فقد ظهر التأثير الغير المباشر على هذا المجال في تربية الإبل فمع توسع التجارة البرية في الألف الأول قبل الميلاد كانت الحاجة شديدة لتأمين دائم لوسيلة النقل فالجمال على وجه الخصوص لقدرة تحملها الشديدة كما ذكرنا سابقا، كما أن اللجوء الى استخدام نظام القوافل مع انتعاش التجارة البرية وتوسعها أتاح الفرصة أمام محطات الراحة ومراكز التجارة على الطرق البرية للقيام بمهمة توفير² الإبل البديلة لقوافل التجارة، فقد كان استبدال الإبل المتعبة بالإبل النشيطة أمرا شائعا على الطرق الطويلة وقد كانت قبيلة (أمير) أشهر القبائل التي عرفت بتربية الإبل ، ويبدو أن هذه الحرفة كانت تذر عليهم الكثير من الأموال.³

¹ أسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص41.

² جواد مطر الحمد ، المرجع السابق، ص440.

³ نفسه، ص445.

ب - 3 - في مجال الضرائب :

- شكلت عائدات الضرائب التي فرضت على عروض التجارة موردا مهما استفادت منه الممالك كما استفادت منه معابدها¹، كما فرضت أيضا الضرائب على العديد من الأنشطة الاقتصادية الأخرى مثل الضرائب الزراعية- ضريبة على السلع الغذائية -ضريبة المعابد، وغيرها، ويبدو أن تأثيرا غير مباشر يحسب للتجارة فيما يتعلق بفرض تلك الأنماط من الضرائب ، ذلك لأن إقرار الضريبة في العادة يكون على الأنشطة التي تشهد ازدهارا فعليا وثابتا، وطالما أن تطور النشاط التجاري وتقدمه قد انعكس تأثيره إيجابيا على اقتصاد ممالك اليمن القديمة وانشطتها، فإنه من القبول افتراض أن ذات التأثير للنشاط التجاري كان قد مس تلك الانشطة، مما أدى إلى انتعاشها إلى درجة أن سلطات الممالك فرضت الضرائب عليها وبذلك تكون التجارة قد ساهمت بطريقة غير مباشرة في خلق مورود اقتصادي، استفادت منه الممالك وهيئاتها الدينية².

- والجدير بالذكر في موضوع الضرائب أن سلطات الممالك لم تكن لتنتهون في أمور تحصيل الضرائب وتأديتها، إذ كانت تفرض غرامات وعقوبات على المتقاعسين عن تسديدها تصل إلى معاقبتهم بزيادة الضريبة المقررة عليهم إلى الضعف أربع مرات، كذلك عقوبة النفي لمدة محددة من الزمن، إلا أنها كانت تضع مهلة للسداد في بعض الأحيان³.

III- تأثير ودور التجارة على أوضاع الممالك الاجتماعية:

- ثمة قناعة سائدة في الوقت الحاضر بأنه من المتعذر تركيب لوحة واضحة تحدد طبيعة البنية الاجتماعية لممالك اليمن القديمة، وتحديد الترتيبية المجتمعية فيها، ومن ثم ليس بالإمكان تكوين صورة كاملة لمجمل الأحوال الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمعاتها، ولكن تطورات الأوضاع السياسية والاقتصادية في ممالك اليمن القديمة في الألف الأول قبل الميلاد، ألقت بضلالها على الأوضاع الاجتماعية فيها بكل ما اعتراها من تعقيدات وإشكاليات، وتأسيسا على ذلك ليس هناك ما يمنع ترجيح ظهور تأثيرات مهمة

¹ جواد مطر الحمد، المرجع السابق، ص37.

² جواد على، المرجع السابق، ج7، ص165.

³ أسهمان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص162.

للنشاط التجاري على العديد من تفاصيل الحياة الاجتماعية التي عاشها سكان هذه الممالك آنذاك، فيما يلي عرض لأهم الجوانب الاجتماعية التي تأثرت بالنشاط التجاري ويازدهارها:¹

(1) التعايش بين سكان الممالك :

- لا شك أن التجارة بعلاقاتها الداخلية والخارجية، ساهمت بطرق مختلفة في القضاء على العزلة التي من المفترض أن تصاب بها مجتمعات ممالك اليمن القديمة، طالما وصفها دارسوا تاريخها القديم في وصفها بأنها مجتمعات زراعية في الأساس، فالنشاط التجاري كنشاط اقتصادي اشتركت فيه جميع الممالك وفر إمكانية الحركة للسكان بين الممالك بدلا من التوقع في ممالكهم، كما أنا المراكز التجارية والأسواق شكلت مواقه مهمة لتواصلهم واحتكاكك بعضهم ببعض وما يتبع ذلك من نشوء للعلاقات ونقل الأفكار، وتبادل الخبرات وغير ذلك، ولعل أهم ما يمكن الاستدلال به هو ما جاء في بعض النقوش من أمور استيطان أو توطين وكذلك وجود جاليات في عواصم الممالك ومدنها التجارية و أيضا في بعض الموانئ، وكذا اجتماع الملاحين العرب وأصحاب السفن والمتاجرين في أسواقها وعليه يمكن الحديث بطمأنينة عن وجود الاندماج الاجتماعي بين سكان الممالك ومجتمعاتها وتعايش قائم على المصالح، وكأن التجارة بما قامت به من دور في التقرب بين السكان قد ساهمت في بلورة بعض المفاهيم الاجتماعية، ربما أهمها القبول بالآخر، وإلا كيف يفسر قبول الغريب والتعامل معه، بل وحصوله على بعض الحقوق ومراعاتها طالما يؤدي الواجبات المنوطة به.²

(2) التواصل الاجتماعي بين الجاليات في الخارج و مجتمعاتها المحلية :

- مع تقدم النشاط التجاري للممالك اليمن القديمة لاستقرار عدد من سكانها في مناطق خارج نطاق جنوب شبه الجزيرة العربية على هيئة جماعا استيطانية ولكنهم ظلوا اتصال بجماعتهم المحلية تواصل مادي ومعنوي.

- أما المادي فقد دلت عليه بعض النقوش التي تشير مساهمة أصحابها في القيام ببعض الأعمال الاستثنائية لصالح تلك المدن التي ينتمون إليها مثل :

¹ عبدالله حسن الشبيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص258-264.

² هادي صالح العمري، المرجع السابق، ص 131- 133 .

* بناء البوابة الرئيسية وجزء كبير من السور الجنوبي لمدينة براقش

* بناء قلعة (محقد) في الجانب الشرقي من قرناو.

- ولا يتوقف الاتصال الفعلي عند البناء والتشييد بل إن (المعنيين) في (ددان) واضبوا على إرسال ضرائب التجارة إلى الممالك في الوطن الأم عن طريق الحاكم (الكبير) الذي ربما يتم تعيينه من قبل الملك المعيني ذاته.¹

- أما التواصل المعنوي للمستوطنين في الخارج مع مجتمعاتهم في الداخل يظهر من خلال النقوش التي تذكر أسماء الآلهة المعبودة في مدنهم جنوب شبه الجزيرة العربية وكذلك من خلال الاهداءات التي يقدمونها بأسماء تلك الآلهة.²

(3) المرأة اقتصاديا :

- في الجانب الزراعي كتن دور المرأة أشد وضوحا، فعلاقتها بالأرض قديمة، تبدأ منذ البدايات الأولى للتقسيم الاجتماعي للعمل بين المرأة والرجل، عندما تولت مهمة جمع الثمار بينما انصرف الرجل نحو الصيد، وبعد ظهور الزراعة، كان دورها مهما في زراعة الأرض وتحمل أعبائها، فلا غرابا أن المرأة في مجتمعات ممالك اليمن القديمة قد امتلكت أرض زراعية، لاسيما وأنها قدمتها ضمن ما كانت تقدمه من هبات للمعبد، أما التجارة فلا يستبعد أن يكون لها دورا فيها أيضا، ففي نقش حضرمي يرد أن امرأة أولت زوجها الثقة بالمتاجرة بأموالها، ومنه فإن امتلاك المرأة لرزمة مالية خاصة بها في مجتمعات ممالك اليمن القديمة مسألة واردة.³

IV- تأثير ودور التجارة على الوضع الديني للممالك:

- رغم أنه لا يوجد دراسات كافية حول المشهد الديني في ممالك اليمن القديمة، إلا أن هذا لا يمنع تأكيد مسألة حضور الدين وتأثيره في كل مناحي حياة سكانها، ولكن يوجد ميزة في هذا التأثير، وهي أنه مرتبط بالواقع أكثر من ارتباطه بالماورائيات سيما ما ينشط من

¹ جواد علي، المرجع السابق، ج2، ص121.

² أسْمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص 130.

³ أسْمهان سعيد الجرو، نماذج من مبادئ حقوق الإنسان في الحضارة اليمنية القديمة، مجلة اليمن، مركز البحوث الدراسات اليمنية، جامعة عدن، العدد 24، نوفمبر، 2006م، ص23.

النقوش الدينية فهي لم تظهر ما يوحي بوجود علاقة تربط آلهة هذه الممالك والغيبيات والخوارق من الأفعال، في الواقع لا يمكن تكهن الأسباب الحقيقية وراء ذلك التميز الوظيفي للدين في ممالك اليمن القديمة، وهو تميز انسحب عن الدين ذاته، فأصبح مرتبطاً بواقع المجتمع، ومحققاً لمصالحه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إذ لا تذكر النقوش أن الآلهة قد أحاطت ذواتها بعالمها العلوي الخاص، ولم تقتصر وظيفة الدين على ضبط سلوك المجتمع فحسب، فكانت أيضاً تلبي متطلبات واقعه المعاش.¹

- لم يكن الوضع الديني في ممالك اليمن القديمة بمنأى عن تأثيرات النشاط التجاري، فقد أدت دور في بلورة وحدة الفكر الديني وكذا في تعايش، الآلهة مع بعضها، فقد كان نظام الممالك الديني قائم على أساس تعدد الآلهة، مع انفراد كل مملكة بعبادة إله خاص بها، وكذا اجتماع كل الممالك على تقديس إله مشترك كان مقدماً على الآلهة في جميع الممالك، حقيقة لا يمكن أن يكون تأثير النشاط التجاري في زمن ازدهار ممالك اليمن القديمة في الألف الأول قبل الميلاد قد مس جواهر العقيدة وطبيعة الدين، إلا أن هذا التأثير لا مس مواضع مختلفة فيما يتعلق بالدين كنشاط إنساني اجتماعي على نحو ما سيأتي :

- هناك من يري أن الصلات الحضارية التي قامت بين سكان جنوب شبه الجزيرة العربية والعالم الخارجي كنتيجة للنشاط التجاري قد أدت إلى تطور الفكر الديني لديهم فتخلصوا من الطوطمية البدائية لتحل محلها الديانة الفلكية التي عبروا عنها بالزهرة والقمر والشمس.²

- لا يستبعد أن يكون قد ترتب على وحدة النشاط التجاري بين الممالك وما تبعها من مراعاة للمصالح المشتركة، وكذا ظهور علاقات اجتماعية ذات سيمة تعايشية بين سكانها أن تجسد شعور الممالك، فيحافظ المنتصر على قدسية آلهة الطرف المهزوم.

- سريان مبدأ حرية المعتقد، واحترام حق الآخر في اختيار الإله وعبادته ويتمثل ذلك في المجمع الديني لكل مملكة، والذي يضم عدد كبير من الآلهة التي تمثل آلهة الشعوب والعشائر المنطوية في إطار المملكة، وأيضاً في الاعتراف بالآلهة وذكرها في النقوش لاسيما

¹ عبد الله حسن الشبيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص 53.

² إسمهان سعيد الجرو، نماذج من مبادئ حقوق الإنسان في الحضارة اليمنية القديمة، المرجع السابق، ص 54.

في نقوش التحالفات والاتحادات التي قامت تحت سيادة الممالك¹، وأيضاً في السماح للمستوطنين أو أعضاء الجاليات بإقامة المعابد وعبادة آلهتهم في المناطق التي يسكنونها خارج ممالكهم.²

- تشير الدراسات الأثرية إلى أن بناء معابد ضخمة يعود إلى زمن ازدهار الممالك في الألف الأول قبل الميلاد، كما يعود إلى ذات زمن تطور فنون بناء المعابد، بما فيها التصميم الهندسي والزخرفة، وكذا المواد المستخدمة في البناء، ومن المرجح أن ذلك كان يتأثر بتدفق الثروات على الممالك عن طريق عائدات الأنشطة الاقتصادية الأخرى المتأثرة بالنشاط التجاري.

- ازدهار الممالك في جميع المجالات الاقتصادي على وجه الخصوص وانعكس إيجابياً على الممالك فتعددت مواردها وأصبحت دائمة فاستثمرها القائلون على المعابد في النشاط التجاري لصالح معابدهم.

- إقامة معابد خارج المدن كانت ترتادها شعوب المناطق المجاورة لهذه المدن وتشارك في عبادة إله رسمي هو الإله الخاص بالمملكة، وقد يكون لبناء هذه المعابد سبب آخر وهو توفير خدمة العبادة لأعضاء قوافل التجارة لتجنب ما يمكن أن يسببه تجمع القوافل من ازدحام عندما يرغب أعضاء القوافل ففي التعبيد.³

V- تأثير ودور الممالك في تقدم النشاط التجاري وازدهارها:

لما كان أكثر النشاط التجاري قد ظهر على أوضاع ممالك اليمن القديمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، في زمن تفوقها في الألفية الأولى قبل الميلاد ، فإنه من الضروري التطرق إلى الدور الذي قامت به الممالك ذاتها- تجاه التجارة، وما تكفلت القيام به في سبيل تنظيمها وتنشيطها وحمايتها، وكذا تسهيل حركتها وتداولاتها، وهو الأمر الذي ساهم في ازدهار واستمرارية النشاط التجاري وفيما يلي اهم ما قامت به الممالك في هذا الصدد.

¹ عبدالله حسن الشبيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص82.

² نفسه، ص68.

³ اسمهان سعيد الجرو، نماذج من مبادئ حقوق الإنسان في الحضارة اليمنية القديمة، المرجع السابق، ص161-163.

1 إصدار القوانين المنظمة للنشاط التجاري في الأسواق :

- أصدرت ممالك اليمن القديمة قوانين وأحكام أهمها ما يلي :
- أ) **قانون قتبان التجاري :** وهو خاص بسوق مينة تمنع، أصدره الملك القتباني شهر هلال بن يدع أب، الذي حكم في القرن الثاني قبل الميلاد¹ ومن أهم بنوده :²
 - * إشراف الدولة على النشاط التجاري في سوق العاصمة (تمنع).
 - * الاهتمام بتحصيل الضرائب، والتشديد على أدائها.
 - * منح التجار الغير قتباني حقوق مهمة طالما التزم ببند القانون منها: حق إمتلاك متجر في السوق، حق الشراكة مع التجار القتبانيين في الأنشطة التجارية داخل السوق.
 - * تميز التاجر القتباني من الأجانب في بعض الأمور مثل -الإعفاء من ضريبة الجنوب .
 - * مكافحة الدولة لعمليات الغش والتهريب، والحفاظ على حقوق المواطنين داخل السوق.
- ب) **قانون بيع وشراء الحيوانات في صرواح :**

قانون ينظم بيع وشراء الثيران والإبل و الحمير في صرواح، إذ يلز المشتري أو شريكه بعدم التراجع بعد إبرام عقد الشراء، كما يمنعنا من مقاضاة البائع وهذا القانون يطبق على السبئين وأيضا المستوطنين الغرباء.³
- ج) **قانون يمنع بيع أو تأجير الأحرار:**

يعالج هذا القانون مشكلة بيع الأحرار إذ يحذر من تحرير عقود بيع الأحرار كرقيق ومن يقوم بهذه المخالفة يتعرض لعقوبة يقررها كبار القوم.⁴
- د) **قانون بيع الحبوب في مدينة نسق :**

يلزم هذا القانون التاجر ببيع الحبوب في سوق المدينة وبحضور مسؤول الضرائب، يفرض عقوبة على من يبيعها خارج المدينة، على هيئة غرامة يحددها مجلس المدينة وكبيرها.⁵

¹ عبد الله يوسف محمد ، المرجع السابق، ص24.

² أسمهان سعيد الجرو، نماذج من مبادئ حقوق الإنسان في الحضارة اليمنية القديمة، المرجع السابق، ص92-97.

³ نفسه، ص98.

⁴ عبد الله يوسف محمد ، المرجع السابق، ص25.

⁵ عبدالله حسن الشيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص 55.

(2) بناء الأسواق ومنشآتها :

- في سبيل جذب قوافل التجارة، اجتهدت الممالك في بناء الاسواق التجارية في العواصم والمدن المهمة، وشيدت فيها العديد من المنشآت التي تخدم النشاط التجاري وتحافظ على ديمومته أهمها :
- المتاجر، المخازن والأبنية الإدارية، بالإضافة إلى قيامها بتحصين الأسواق بالأسوار وابراج الحماية والحرص على تخصيص باب واحد لدخول القوافل لتسهيل الاشراف عليها.¹

(3) تعبيد الطرق وشق الممرات :

- عملت الممالك على بناء الطرق البرية وتعبيدها، وكذا تبليطها بالحجارة بغرض تيسير حركة القوافل التجارية والتنقل عموما على الطرق لا سيما الوعرة منها، إذ يبدو أن الملوك كانوا حريصين على توجيه تلك القوافل باتجاه مراكز ممالكهم التجارية واسواقها وإحكام السيطرة منافذ الطرق بحيث تحيد القوافل أو تبتعد إلى مسارات أخرى وذلك بهدف السيطرة على النشاط التجاري وموارده، في سبيل تحقيق كل فائدة ممكنة من هذا النشاط، وقد أظهرت الممالك - خاصة قتبان وحضرموت - إمكانيات كبيرة وراقية في مجال شق الطرقات الجبلية والممرات والمعابر ومقدرة هندسية تكاد تكون فائقة، وأبرزها :
- * في قتبان : ممر عقبة ميلقة، ممر نجد، ممر ضم .
- * في حضرموت: ممر عقبة عقيبان، ممر عقبة فتورة .
- وكذا عملوا على بناء خزانات وأحواض لحفظ المياه على جوانبها لتزويد أعضاء القوافل ودوابها بما تحتاجه من مياه.²

(4) استخدام النقود وسكها :

- يعد اختراع النقود والتعامل بها أسلوبا متقدما، ساعد على تنظيم وتطوير أنشطة التجارة ومعاملاتها، ويرجح أن ممالك اليمن القديمة عرفت النقود وتعاملت بها منذ نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، وبما أن ممالك اليمن القديمة منخرطة في التجارة الدولية مع

¹ عبد القادر بافقيه، المرجع السابق، ص 175.

² عبدالله حسن الشيبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص 117-118.

شعوب الشرق القديم التي كانت تتعامل بالعملة الأثينية في تداولاتها التجارية¹، غير أنه لم يمر وقت طويل حتي باشرت الممالك ذاتها بسك العملة، وكان ذلك منذ بدايت القرن الرابع قبل الميلاد، وكانت الريادة لقتبان في هذا المجال، ثم تبعتهما سبأ، وبعد ذلك حضرموت حوالي منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، في البداية كانت العملة تقليدا للعملة الأثينية وفي القرن الاول قبل الميلاد تم سك عملة مقاربة للعملة الرومانية غير أن الممالك فيما بعد أصدرت عملات ذات انتاج محلي² صرف حرص فيها الملوك على إظهار مقومات ممالكهم ، حيث عمدوا إلى كتابة أسمائهم، والقابهم، وجهة السك وسلطته، بالإضافة إلى أسماء الآلهة ، ورموزها، وكلها كتبت بالمسند، كما بدت الوجوه المرسومة على تلك العملات عربية الملامح بعد أن كانت تحمل سمات الوجوه الإغريقية أو الرومانية.³

(5) علاقات الممالك الخارجية وتوظيفها في إدارة النشاط التجاري:

- كانت التجارة بمثابة البوابة التي عبرت من خلالها ممالك اليمن القديمة نحو إقامة علاقاتها الحضارية مع الشعوب الممالك الأخرى في الالف الأولى قبل الميلاد، إلا ان اهتمام الممالك بتوطيد هذه العلاقات وإدارتها- بحد ذاتها كان له اثر بالغ في ازدهار النشاط التجاري وتطوره.

- في الواقع، لا يتوقف دور الممالك ومساهمتها في خدمة النشاط التجاري على انتاج اراضيها للعديد من المحاصيل التي كانت ترغب بها الشعوب الأخرى فقط بل اكثر من ذلك - على ما يبدو- هو حسن ترويجها لتلك المحاصيل لدى تلك الشعوب، وتحملها مسؤولية توزيعها وإيصالها إلى مناطقهم⁴ مع إظهار الكفاءة في إدارة حركة التجارة، مما جعلها تحتفظ بعلاقات تجارية ودية مع مختلف المناطق طيلة القرون السابقة للميلاد، طالما وأن تلك الشعوب لا تجد مصدرا آخر يزودها بما تحتاجه من تلك المحاصيل، ليس هذا فحسب، وإنما

¹ أسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص 98. أنظر الملحق رقم 06، ص111.

² أنظر الملحق رقم 07، ص112.

³ الكسندر سيدوف ودافيد بريارا، سك النقود والمسكوكات- في كتاب اليمن في بلاد سبأ، تر: بدرالدين عردوكي، معهد العالم العربي(باريس) ودار الأهالي(دمشق)، 1999م، ص119-120.

⁴ Strabo, **The Geography of Strabo**, English translation by Horace Leonard joones Harvard University press, London, BK16, Vol V2,ch.4, sec.19,p347.

إدراك الممالك المبكر لأهمية موقعها المتوسط الذي يربط بين مناطق العالم القديم بحريا وبريا، واستغلالها الجيد لهذا الموقع، بحيث احتفظت بعلاقات منفصلة -على ما يبدو- مع كل منطقة على حدى، الأمر الذي ساعدها كثيرا في أن تؤدي دورا مهما وحيويا في عبور التجارات بين الشرق والغرب¹ فأصبحت موانئها تشكل محطات تجارية مهمة على خطوط التجارة البحرية، كما غدت عواصمها ومدنها، وكذا مستوطناتها شمال شبه الجزيرة العربية مراكز تجارية وأسواقا على ذات القدر من الأهمية على خطوط التجارة البرية².

بمقتضى ما تطلبت التجارة صاغت ممالك اليمن القديمة علاقاتها مع الهند وشمال شرق إفريقيا - بما فيه القرن الإفريقي-، ومع الممالك التي عاصرتها في العراق وسوريا ومصر وعالم شمال البحر الأبيض، إذ جاء في النقوش ما يؤكد ذلك، لاسيما مع مصر وغزة وبعض مناطق سورية، كما أنى اللقى الأثرية الكثيرة المستوردة التي تم الكشف عنها في بعض موانئ الممالك ومدنها، المتمثلة بنماذج الفخار، والأوعية الزجاجية، والخرز، والعملات، وبعض التماثيل، ناهيك عن التأثيرات الفنية الخارجية في مجال النحت وزخرفة البناء، جميعها يمكنها أن تلخص مدى العلاقات التي ربطت ممالك اليمن القديمة بتلك المناطق وكذا حجم النشاط التجاري الكبير الذي مارسه في إطار التجارة الدولية البرية والبحرية³.

- وفي هذا الصدد لا يمكن تجاوز ما ورد في كتابات الكلاسيكيين من إشارات، في إطار حديثهم عن الممالك في أزمنة متتابعة، بداية من هيرودوت وانتهاء بكتاب الطواف، والتي تذكر نشاط الممالك التجاري مع غيرها من المناطق في ظل احتكارها لبعض المحاصيل، وطريقة غدارتها للموانئ التابعة لها، وما يرتبط بذلك من استيراد وتصدير⁴

¹ سحاب فكتور، إيلاف قریش رحلة الشتاء والصيف، ط1، كمبير نشر والمركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م، ص39-42.

² عبدالله حسن الشيبه، دراسات في تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص166-188.

³ اسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص80-82.

⁴ عبدالله حسن الشيبه، ترجمات يمانية قسم (العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية)، المرجع السابق، ص67.

الفصل الرابع: أثر التجارة في سقوط ممالك اليمن القديم.

- (1) انتعاش التجارة البحرية وتراجع التجارة البرية.
- (2) العلاقة بين الممالك وموقفها من الوضع الدولي بعد الإسكندر الأكبر

1. انتعاش التجارة البحرية وتراجع التجارة البرية:

- لأن كان انتعاش التجارة البحرية يعد سبباً مهماً لتراجع التجارة البرية، فإنّ هذا الانتعاش بحد ذاته يعد نتيجة طبيعية، على ما يبدو لما شهدته مناطق الشرق القديم من أحداث ، كانت التجارة لاسيما الشرقية أحد أهم أهدافها ؛ ومن ثمّ فإنّ تجارة ممالك اليمن القديمة باعتبارها متحركة بجزء مهم وكبير فيها، لم تكن بمنأى عن هذا الاستهداف.
- فيما يلي توضيح لأهم الأسباب التي أدت الى تراجع النشاط التجاري البري وساعدت في الوقت ذاته على انتعاش النشاط التجاري البحري:

(1) الصراعات الدولية من أجل السيطرة على طرق التجارة:

- تلك الصراعات التي دارت رحاها بين القوى الغربية (الآغريقية ، اليونانية، والرومانية على التوالي)، مجهة وبين قوى من الشرق لاسيما الممالك التي ظهرت في إيران الأخمينية البارثية ثم الساسانية التي سعت للسيطرة على العراق وسورية ومصر من جهة أخرى.
- على الرغم من أنّ السبب لدى الأطراف المتعاصرة لدخول تلك الصراعات يبدو على الأرجح متطابق وهو السيطرة على طرق التجارة الدولية البحرية والبرية، ومن ثم التحكم بالنشاط التجاري الدولي تحقيقاً لمصالحهم الاقتصادية¹ ، إلا أنّ الأهداف التي سعى كل طرف للوصول إليها وتحقيقها، كانت متباينة الى حدّ ما على نحو ما يأتي:

* أهداف القوى الغربية:

- في سعيها نحو التوسع باتجاه الشرق، هدفت القوى الغربية-اليونانية والرومانية، ضمن ما هدفت ؛ السيطرة على الطرق التي تمر عبرها المحاصيل والسلع الشرقية المطلوبة بشدة لدى

¹ السحاب فكتور، المرجع السابق، ص48-49.

شعوبها¹، أذ كانت هذه الطرق تشكل منافذ بحرية وبرية وحيوية مهمة، تربط عالم البحر المتوسط بعالم المحيط الهندي، وهذه هي طرق الخليج العربي، بما في ذلك موانئ الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، يخرج منه الطريق البري الممتد حتى سورية عبر الفرات، وكذلك طريق البخور القادم من جنوب شبه الجزيرة العربية، باتجاه غزة، بالإضافة الى طريق البحر الأحمر (بحر القلزم) الذي يتصل بجنوب فلسطين ومصر، وعليه يبدو أن خوضها تلك الصراعات كان يهدف الى أساساً للتحكم بتلك المنافذ تحقيقاً لمصالحها.

* أهداف قوى الشرق:

– أهداف المملكة التي تقوم في أرض إيران من دخولها تلك الصراعات تمثلت بمد سيطرتها الى موانئ الساحل الشرقي للبحر المتوسط²، لأن ذلك يمكنها من التحكم بتجارات الشرق القادمة من الصين والهند، وجنوب شبه الجزيرة العربية، وكذلك السعي للحصول على مناطق نفوذ في شمال البحر الاحمر³، أذ كانت دائماً ما تتوجس خوفاً من سيطرة قوى الغرب على البحر الأحمر، فتفقد الكثير من مكاسب مرور التجارة الشرقية عبر أراضيها. بدأت أولى مظاهر الصراع والمواجهة بين تلك القوى قبل قدوم الاسكندر المقدوني "336-323 ق.م" الى الشرق بحوالي قرنين من الزمن، وذلك عندما خاضت أثينا كبرى دويلات المدن الاغريقية، الحرب ضد الامبراطورية الفارسية الأخمينية⁴.

¹ أبوالحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تح: شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت 1966م، ص128-129.

² فرح أبو اليسر، الشرق الأدنى في العصرين الهلنيستي والروماني، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2000م، ص17.

³ السحاب فكتور، المرجع السابق، ص04.

⁴ فيليب حتى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج1، تر: جورج حداد عبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ص239-242.

– وعلى الرغم من أن دوافع تلك الحرب في الأساس السيطرة على تجارة البحر المتوسط، إلا أن التجارة الشرقية بحكم وصولها الى موانئ البحر المتوسط الشرقية، كانت تشكل جزءا هاما فيها.

– في الواقع أحداث تلك الصراعات التالية دائما، على الأرجح ما أظهرت حقيقة مكانة سلع الشرق ومحاصيله عند المستهلكين في الغرب ؛ فكلما اشتدّ الطلب عليها رفع محتكروها لاسيما العرب أسعارها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ترتفع أسعارها أكثر عند مرورها سلع الشرق، عبر أراضي الدولة المعادية، بفعل ما تفرضه من ضرائب ورسوم عليها، والمشكلة التي واجهها الرومانيون بالذات، ومن قبلهم اليونانيون في سورية في هذا الخصوص، هي أنهم مع اضطرارهم شراء هذه السلع بسبب الحاجة الملحة اليها، كانوا يحققون الربح والقوة، لعدوهم المملكة التي كانت تحكم في إيران، ليس هذا فحسب بل أن المملكة المعادية كانت تعتمد في زمن الحرب¹ ايقاف تدفق هذه السلع عبر أراضيها والأراضي المسيطرة عليها، وتحول دون وصولها اليهم، ومن هنا فإن أبرز أبعاد الصراعات بين قوى الغرب والشرق تمثلت في محاولة تأمين السيطرة على أكبر جزء ممكن من طرق التجارة، والتسابق من أجل ايجاد موطئ قدم لها على منافذها، في سبيل تحقيق أهدافها من التجارة الشرقية.

– لم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، بل اتخذت الصراعات منحى آخر منذ وصول الاسكندر المقدوني الى الشرق، لتكشف عن الاطماع الأجنبية بعيدة المدى التي خاضت القوى

¹ السحاب فكتور، المرجع السابق، ص49.

المتصارعة من أجلها كل تلك الصراعات ، والمتمثلة في محاولة السيطرة على كامل المنطقة، بما في ذلك الهند وجنوب شبه الجزيرة العربية¹.

فيما يلي من سطور متابعة لسير الصراعات الدولية، بغرض توضيح طبيعة الاطماع الاجنبية، ومدى تأثيرها على ممالك اليمن القديمة، وسيتم تناول ذلك على مرحلتين:

(أ) الصراع الدولي ومحاولات اليونانيين تحقيق تطلعاتهم في الشرق:

– فيض العالم القديم أن يشهد صعود نجم الاسكندر المقدوني "الاسكندر الأكبر" بعد زمن وجيز من تربيته على عرش مقدونيا في 336 ق.م- خلفاً لوالده فيليب"، الذي أغتيل أثناء قيادته لحلف المدن اليونانية، وتجهيزه لحملة كان مقرراً لها أن تقوم بها بالزحف نحو الشرق لمحاربة الفرس².

– بعد أن تمكن الاسكندر الأكبر "من القضاء على تمرد المدن اليونانية بقيادة "طيبة" التي هبت ثائرة بمجرد وفاة أبيه، واطمأن على الأوضاع هناك، سارع الى القيام بالحملة التي كان يتأهب لها فيليب" والده ، ضد الامبراطورية الفارسية ، وأول انتصاراته على الفرس حققها في غرب آسيا الصغرى وقرب نهر صغير يدعى "جرانيكوس"³ ليسيتر بعدها على كل أقاليم آسيا الصغرى، وبمجرد عبور قواته ممرات "كيليكيا" التقى الاسكندر بالقوات الفارسية بقيادة الملك الفارسي "داريوس" الثالث، الذي قدم لملاقاته على رأس جيش كبير فدارت بين الجيشين معركة كبيرة، تبدو حاسمة ، في سهل إيسوس "طرطوس اليوم، جنوب تركيا انتصر فيها الاسكندر"

¹ السحاب فكتور، المرجع السابق، ص 47-48.

² فيليب حتى ، المرجع سابق، ص 253.

³ فرح أبو اليسر، المرجع السابق، ص 26.

ليتابع زحفه في آسيا، إلا أنه بدلا من ملاحقة الملك الفارسي نحو الشرق كما كان متوقعا أمر قواته بالتوجه جنوباً ليسيّط على كل مدن الساحل الشرقي للبحر المتوسط مع إرساله لأحد قادته "بارمينيو" لاختضاع دمشق مركز القيادة الفارسية في سورية¹، وعلى الرغم من أن تفكير الاسكندر اتجه الى تأمين ظهر قواته، كتكتيك عسكري، غير أنّ أهمية مصر، باعتبارها أهم مصادر الغلال بالنسبة للمدن اليونانية، كان سبباً آخرّاً على ما يبدو دفعه للتوجه نحو الجنوب²، ولا يستبعد كذلك أنه هدف الوصول الى شمال البحر الاحمر، كونه أقرب منافذ الاتصال بعالم المحيط الهندي بالنسبة لليونانيين³.

فتح الاسكندر "مصر سلمياً عام 332 ق.م-بعد أن سارع الوالي الفارسي بالاستسلام، وما إن فرغ من تنظيم أحوالها، وترتيب سيطرته عليها غادرها متوجهاً نحو الشرق ليخوض آخر معاركه ضد الامبراطورية الفارسية الأخمينية، في شمال العراق عندما التقى دار الثالث وجيوشه وتمكن من هزيمته⁴، فدانت له بعدها كل المدن الفارسية معلنة سقوط هذه الامبراطورية نهائياً.

إذا كان الاسكندر "الأكبر قد أنهى مرحلة من الصراع الدولي بين قوى الغرب والشرق، بقضائه على الامبراطورية الفارسية الأخمينية، فإنه بعد ذلك أفصح عن أطماعه الطموحة للسيطرة على منابع الشرقية⁵، وذلك من خلال الآتي:

¹ فليب حتي، المرجع السابق، ص254.

² فرح أبو اليسر، المرجع السابق، ص26.

³ فليب حتي، مرجع سابق، ص254.

⁴ فرح أبو اليسر، المرجع السابق، ص34.

⁵ جاد السيد، بلاد العرب في المصادر اليونانية القديمة (نصوص ودراسات)، ط1، الإسكندرية، 2008م، ص79.

أ-1- محاولة الاسكندر السيطرة على الهند:

– بعد أن سيطر الاسكندر على الأراضي الفارسية، اندفع جنوباً باتجاه بلاد البنجاب بهدف الوصول الى الهند وذلك عام 326 ق.م لكن محاولته للوصول الى الهند وفرض السيطرة عليها باءت بالفشل ، بعد أن توقف جنوده عند وادي السند في إقليم البنجاب، بسبب ما أدركهم من إعياء وملل لكثرة الحروب التي خاضوها، وطول المسافة التي قطعوها في هذه الحملة مما اضطر الاسكندر العودة ،بتلك الجيوش الى مدينة بابل".

– لكنه قررّ تقسيم قواته الى قسمين في طريق العودة، قسم يعود برياً تحت قيادته، والقسم الآخر يعود عن طريق البحر بقيادة أحد رجاله وهو (نيارخوس)، إذ عهد اليه مهمة قيادة الاسطول الذي أعدّ لهذا الغرض، ويبدو أن هدف الاسكندر من هذه الخطوة هو اكتشاف الطريق البحري الذي يؤدي الى الهند وعالم المحيط الهندي¹، وهو ما يؤكد أطماع الاسكندر واليونانيين في التجارة الشرقية.

أ-2- ترتيبات الاسكندر للحملة على شبه الجزيرة العربية:

– تعددت الدوافع التي جعلت الاسكندر يصرف الجزء الأكبر من وقته في عامة الأخير في بابل، في إعداد مخططات حملته على شبه الجزيرة العربية² ، إلا أن الدافع الاقتصادي ومن ورائه ثروات هذه المنطقة لاسيما جنوبها³، كانت أهم هذه الدوافع⁴ بالاضافة الى موقعها المهم بالنسبة للامبراطورية التي شرع في اقامتها، إذ يتضح ذلك من خلال توجه تفكيره نحو

¹ فليب حتي، المرجع السابق، ص 357-358.

² جواد علي، المرجع السابق، ج 2، ص 256.

³ جاد السيد، المرجع السابق، ص 39-40.

⁴ نفسه، ص 97-98.

اقامة مستوطنات يونانية دائمة على سواحلها¹، في مختلف جهاتها، ويبدو هذا التفكير منطقياً بالنظر الى موقع شبه الجزيرة العربية وسواحلها.

— أولاً: بالنسبة للحدود التي توسعت اليها امبراطوريته، إذ سيتم له عقد السيطرة على كل المناطق التي تطلع اليها،

— وثانياً: وأخيراً بالنسبة للاطلالة المباشرة للسواحل الجنوبية على عالم المحيط الهندي، فهذه السواحل ستتيح له التحكم بكل تجارة الشرق، وقد تكون منطلق لمزيد من التوسع في هذا الاتجاه.

— في سبيل تنفيذ مخطط غزوه لبلاد العرب، بدأ الاسكندر بناء أسطول بحري ضخم في قبرص وفينيقيا ثم نقل أجزاء السفن براً الى بابل، إذ أمر ببناء ميناء كبير هناك، وبموازاة ذلك وفي إطار استعداداته لحملته الكبرى، أرسل الاسكندر أربع بعثات بحرية استكشافية في العام 323 ق.م بهدف التعرف على سواحل شبه الجزيرة العربية ، وجمع المعلومات عن موانئها والجزر المقابلة لها:

* البعثة الاولى: بقيادة "أرخياس" خرجت من جنوب بابل ووصلت الى جزيرة تيلوس "البحرين".

* البعثة الثانية: بقيادة "أندروثينيس" خرجت من جنوب بابل ولم تتعدى جزيرة "أرادوس".

* البعثة الثالثة: بقيادة "هيرون" خرجت من جنوب بابل، ونجحت بالدوران حول شبه الجزيرة العربية حتى وصلت ميناء "هيوبوليس" في مصر.

¹ فرح أبو اليسر، المرجع السابق، ص 27.

* البعثة الرابعة: بقيادة "أنا كسيكراتيس" خرجت من هيروبوليس" في الوقت ذاته الذي خرجت فيها البعثة الثالثة، ولم تتجاوز باب المندب¹.

جمعت تلك البعثات معلومات مهمة عن سواحل بلاد العرب وموانئها وجزرها؛ تزداد معارف اليونانيين ثم الرومانيين حولها.

يبدو أن استعدادات الاسكندر الأكبر" كانت كبيرة وضخمة لتنفيذ حملته على شبه الجزيرة العربية ، لكن وفاته أنهى مشروع الحملة وقضى عليه نهائياً، ومع ذلك يعد الاسكندر أول الملوك اليونانيين الذين فكروا وحاولوا الوصول الى موانئ المحيط الهندي.

بعد وفاة الاسكندر الأكبر"، احتاج الأمر اثنين وعشرين عاماً حتى تتضح المعالم في التي آلت اليها امبراطوريته، فخلال تلك الاعوام خاض قادة الاسكندر صراعاً مريباً من أجل، إما الانفراد بحكم الامبراطورية أو الاستقلال بحكم أكبر رقعة ممكنة فيها، هذا الصراع بعد موقعه خاضها كل هؤلاء القادة، تعرف بموقعة "إيسوس" عام 301ق.م-²بحيث قامت الدولة السلوقية في سورية والعراق بقيادة سلوقس" الأول "302-280ق.م" ودولة البطالمة في مصر بقيادة بطليموس" الأول (323-284ق.م) ، أما عرش مقدونيا المتحكم بكل مناطق اليونان فقد ظلّ يشهد صراعات القادة من أجل السيطرة عليه، بعد أن انفصلت عنه المقاطعات الشرقية³.

¹ أسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص111.

² فرح ابو اليسر، المرجع السابق، ص59.

³ نفسه، ص298-299.

دخلت الدولتان "السلوقية والبطلمية" في صراع مرير ومستمر، مثل وجه آخر للصراعات الدولية والأطماع الأجنبية في الشرق، لم تلبث أن قامت للفرس دولة أخرى-تحت وطأت هذا الصراع بين هتين الدولتين.

هي الدولة البارثية منذ منتصف القرن الثالث ق.م-¹ فبعد أن استعاد سلوقس "الأول أو ملوك الدولة السلوقية، المناطق الواقعة الى الشرق، التي كانت قد تمردت بعد وفاة الاسكندر"، بما فيها فارس، وبلاد السند، فإنه وجه جهوده لضمان الحصول على منتجات الشرق عن طريق الخليج العربي والطريق البري الصاعد من شرق شبه الجزيرة العربية، إذ عمل على بناء مدن جديدة، جعلها مراكز لإعادة توزيع البضائع أهمها: دورا-أوروبس "الصالحية اليوم" وسلوقية "على نهر دجلة"، فأصبحت الأخيرة تستقبل المنتجات القادمة عن طريق البحر والبر-الخليج العربي وشرق بلاد العرب-وبعد تجميعها تقوم بارسالها الى دورا-أوروبس، ومن هناك تنطلق باتجاه مدن سورية المهمة آنذاك كأنطاكيا ودمشق².

– ربما كان سلوقس "الأول قد ضمن باجراءاته تلك الحصول على جزء من يبدو مهما من التجارة الشرقية، لكنه أبداً لم يفكر بتنفيذ مشروع الاسكندر تجاه شبه الجزيرة العربية ،على الرغم من أنه ورث المنطقة التي كانت ستكون المنطلق لتحقيق هذا المشروع، وفيها تم إعداد كل التجهيزات اللازمة لذلك، بما فيها الاسطول الضخم في بابل ، ليس سلوقس الأول فحسب ،

¹ فليب حتي، المرجع السابق، ص 263.

² نفسه، ص 298-299.

ولكن أحداً من الملوك السلوقيين الذين كانوا حكموا من بعده لم يجرؤ على القيام بهذا المشروع¹.

– في الواقع هؤلاء الملوك فقدوا حتى سيطرتهم على بعض الطرق البرية، التي أمنها سلوقس الأول " أثناء خضوعهم الصراعات ضد البطالمة²، ثم الفرس البارثيين، باستثناء الملك أنطيوخس الثالث الكبير -232-187ق.م" الذي استعاد أثناء حكمه المناطق الشرقية وحقق نجاحات عسكرية مهمة على البطالمة، وأخرجهم من سورية³، ثم أخذ يضع الخطط للقيام بحملة على شبه الجزيرة العربية بعد أن تنبه على غرار الاسكندر الأكبر " لأهميتها في التجارة الدولية، ولأهمية السواحل المحيطة بها، غير أنه فيما بعد فطن إلى صعوبة السيطرة عليها، وإلى الآثار السلبية التي يمكن أن تنعكس على مملكته، إذا أقدم على تنفيذ مخططاته تلك، فظهره لا زال مكشوفاً لأعدائه البطالمة في مصر، كما أن دخوله شبه الجزيرة العربية، ومواجهته لسكانها وكياناتهم السياسية هناك لن تكون بالمسألة السهلة، وعليه أقنع أنطيوخس الثالث " عن قيامه بهذه المغامرة، مفضلاً الالتفات للبطالمة، والحيلولة دون عودتهم حفاظاً على الممتلكات السلوقية في سورية.

– أما ما كان من شأن ورثة الاسكندر الأكبر في مصر "البطالمة" فيما يتعلق بتطلعاتهم وسعيهم لضمان الحصول على منتجات الشرق ومحاصيله، فقد استغلوا إطلاقة مصر على البحر الأحمر من الناحية الشرقية استغلالاً ملحوظاً⁴، إذ نشطت حركة سفنهم فيه، فتمكنوا

¹ جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص268.

² فرح أبو اليسر، المرجع السابق، ص145-147.

³ فيليب حتي، المرجع السابق، ص264-265.

⁴ أسهمان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص111

من اقامة علاقات على ما يبدو واسعة مع الموانئ الافريقية على وجه الخصوص فأسسوا مراكز تجارية مهمة، حتى ظهرت على سكانها فيما بعد كما جاء في كتاب الطواف¹.

– يبدو أن الخطوة التي قام بها بطليموس الثاني " فيلا دلفوس " (284-246ق.م) قد ساعدت على تواجد البطالمة المبكر في البحر الاحمر، التي تربط الفرع الشرقي لدلتا النيل "فرع دمياط" بالبحر الاحمر، وهو ما سهل حركة السفن وزيادة النشاط الملاحي، وبمرور الوقت أصبحت السيادة لهم في هذا البحر واحتكروا تجارته ، لاسيما بعد أن سيروا سفن بحرية حراسة ضمن السيطرة أسطولهم، وتمكنوا من القضاء على القرصنة التي كانت قد برزت، كظاهرة أقلق البطالمة في عهد بطليموس الثاني".

على الرغم من نشاط البطالمة الحثيث في البحر الاحمر لكن على الأرجح لا يبدو أنه أثر على نشاط التجارة البرية للممالك اليمن القديمة، على الأقل حتى نهاية القرن 1 ق.م².

(ب) الصراع الدولي ومحاولات الرومانيين تحقيق طموحاتهم في الشرق:

– تمكن الرومانيون من اسقاط الدولة السلوقية في العام 64ق.م-عندما سيطر بومبي " بومبيوس الكبير"³ على كل سورية، لتصبح منذئذ ولاية رومانية ، مع الابقاء على الحكام

¹ جورج فضلو الحوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى، تر: يعقوب البكر، مكتبة الأنجلو مصرية و مؤسسة فرانكلين للطباعة، نيويورك، 1964م، ص57.

² أسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص111-112.

³ واثق اسماعيل الصالحي، محاضرات في تاريخ الرومان، ط1، دار الكتاب الجامعي الجديدة 2008، ص110-112.

المحليين مقابل أخذ الجزية السنوية منهم، كما تمّ السماح لملك الانباط الحارث الثالث "87-62ق.م-الاحتفاظ بدمشق إذ كانت تحت السيطرة النبطية مقابل مبلغ كبير من المال¹.

واصل الرومانيون الصراع الدولي ضد الفرس البارثيين بقيادة "كراسوس"، إذ شنّ عدة حملات على المملكة البارثية، لكن الفشل أصاب حملته الأخيرة بالقرب من "حران" وقتل هناك عام 53ق.م-في كمين نصب له ولرجاله، غير أنّ "كاشيوس" الذي خلفه في حكم سورية، تمكن من طرد البارثيين منها سنة 51ق.م- إذ أدرك البارثيون صعوبة مواجهة الجيش الروماني، فآثروا الانسحاب من سورية على المجازفة بمواجهة هذا الجيش².

لم يمر وقت طويل حتى تفجرت الصراعات "الحرب الأهلية" بين الزعماء الرومانيين وبوليوس قيصر، فألقت بظلالها على الولايات الرومانية، بما فيها الشرقية ولاية آسيا" إلا أن بوليوس قيصر نجح في القضاء على بومبي الكبير عام 48ق.م³- ثم شرع بالاستئثار بكافة السلطات في الدولة، حتى ظهر وكأنه يسعى الى إلغاء النظام الجمهوري، وفي مفتتح العام 44ق.م-حصل على السلطة الدكتاتورية لمدى غير أنه اغتيل على يد أعدائه في الخامس عشر من آذار عام 44ق.م⁴.

في ظلّ الخيبة التي مني بها قتلة الدكتاتور قيصر" من جهة، والحذر واليقظة التي أبدأها أنصاره من جهة أخرى، ظهر حزبان رئيسان على ساحة روما هما حزب الجمهوريين، وحزب

¹ فيليب حتي، المرجع السابق، ص308-309.

² السحاب فكتور، المرجع السابق، ص51.

³ واثق إسماعيل الصالحي، المرجع السابق، ص122.

⁴ نفسه، ص123.

مناصري السياسة القيصرية، انتهى الصراع بينهما في معركة فيليببي في اليونان، عام 42 ق.م- وذلك بهزيمة الجمهوريين الحكومة الثلاثية الثانية بالحكم¹.

والمكونة من "أنطونيوس، أكتافيوس" لينوس وسرعام ما تم تقسيم ولايات الامبراطورية بين القائدين البارزين "أنطونيوس" تولى الولايات الشرقية ، و"أكتافيوس تولى الولايات الغربية".

لم تلبث الامبراطورية الرومانية أن شهدت منافسة جديدة تطورت الى عدااء بين صديقي الحزب القيصري، والحكومة الثلاثية الثانية "أنطونيوس وأكتافيوس" فتوترت العلاقة بينهما، التي عقدت بينهما عام 40 ق.م- في اصلاح الوضع، والتوفيق بينهما.

استغل البارثيون الصراعات الداخلية بين الزعماء الرومانيين فهاجروا الممتلكات الرومانية في سورية، وتمكنوا من الوصول الى فلسطين سنة 40 ق.م-، لكن الرومانيون شنوا سلسلة من الهجمات على البارثيين لاسيما الهجوم الذي قاده "هيرودوس"² والذي قضى على نفوذ البارثيين في فلسطين³، ثم ارسل أنطونيوس سلسلة حملات أخرى ضدهم عام "36-35-34 ق.م-وفي الأخيرة فقط تمكن من ضمّ أرمينيا"⁴.

– اشتدّ الصراع بين الزعيمين "أنطونيوس" وأكتافيوس" ولم يتم حسمه، إلا بعد المعركة البحرية الشهيرة معركة أكتيوم" ربيع 31 ق.م- إذ انتصر "أكتافيوس"، وهرب أنطونيوس الى

¹ ول وايرل ديورانت، قصة الحضارة، تر: محمد بدران الكتاب التاسع، ج1، مج3، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1955م، ص413.

² سحاب فكتور، المرجع السابق، ص51.

³ واثق إسماعيل الصالحي، المرجع السابق، ص125.

⁴ فرح أبو اليسر، المرجع السابق، ص267.

مصر، وهناك انتحر، فانفرد أنطونيوس" بحكم الامبراطورية الرومانية، بما فيها مصر التي أصبحت منذ ذاك ولاية رومانية.

– تمكن أغسطس" من تعيين الحدود بين امبراطوريته والمملكة البارثية ، وكذا تأمينها لتستقر له الاوضاع ، فبدأ يوجه أنظاره في الشرق نحو طرق التجارة الشرقية، ومنافذها البرية والبحرية"، وعلى الأرجح بانتظام نحو الموانئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية، وموانئ الهند في سبيل الحصول على منتجاتها، إلا أنّ أغسطس قرّر ارسال حملته الشهيرة؛ للسيطرة على جنوب شبه الجزيرة العربية، ويبدو أن أهدافه من هذه الحملة قد تعددت على نحو:

- * اخضاع مداخل البحر الاحمر الجنوبي للسيطرة الرومانية كما هو حال شماله.
- * الحصول على ثروات المنطقة ومنتجاتها¹.
- * أحكام السيطرة على طرق التجارة البرية، وكذا والموانئ الجنوبية لشبه الجزيرة العربية.
- * تأمين طرق التجارة مع الهند، بغرض تأمين استمرارية الوصول الى مصادر التجارة الشرقية².

– كلف أغسطس" نائبه في مصر "إليوس جالوس" تجهيز الحملة وقيادتها، فباشر الأخير، الإعداد لتلك الحملة في أغسطس 24ق.م- إذ جهز 130سفينة-وحشد لها عشرة آلاف من الجنود الرومانيون، الى جانب ألف جندي من الانباط وخمسمائة من الجنود اليهود.

– انطلقت الحملة من منطقة كليوباتريس" القريبة من القناة القديمة التي تربط النيل بالبحر الأحمر، وبعد 14 يوماً وصلت الى ميناء لويكي كومي" النبطي، وذلك بعد صعوبات ومتاعب كثيرة، خسر فيها الرومانيون العديد من سفنهم بعض من طواقمها، لكنها لم تتجاوز مدينة

¹ فرح ابو اليسر، المرجع السابق، ص26.

² محمد عبدالقادر بافقيه، في العربية السعيدة، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، ص32-33.

مأرب، التي حوصرت لمدة ستة ايام ليدرك الرومان أن حملتهم أصابها الفشل، فعادوا الى أدراجهم دون أن يحققوا الاهداف التي جردوا من أجلها هذه الحملة.

– يحمل المؤرخ استرابون الذي كان صديقاً شخصياً لقائد الحملة "إليوس جالوس" الوزير النبطي سيلايوس¹ (صالح) مسؤولية فشل الحملة، فهو يتهمه بتعمد تضليلها ، ويستطرد موضحاً أنّ الرومانيين حين اكتشفوا خداعه اتهموه بالخيانة لهم، وهي تهمة أدین لها الى جانب تهم أخرى، في روما فتم قطع رأسه.

– يبدو أن الانباط وملكهم-في هذا الوقت عبادة الثالث "28-9ق.م-كانوا على علاقة جيدة بالرومانيين ، بدليل أن الملك سمح لوزيره سيلايوس صالح¹ بأن يكون المرشد والدليل لجيوش الحملة، كما قدم لها 1000جندي" كما جاء أعلاه باضافة الى أنه سمح لتلك الجيوش أن تستخدم ميناء المملكة، وأن تجتاز أراضيها أثناء توجهها نحو الجنوب.

– مهما كانت حقيقة أسباب فشل الحملة الرومانية² ، بحد ذاته منع كارثة مبكرة، ربما كانت ستحل على ممالك اليمن القديمة، كما أن الخسائر الكبيرة التي ترتبت جراء هذا الفشل، جعلت أغسطس يتراجع نهائياً عن فكرة غزو هذه المنطقة مرة أخرى، ونصح بوصية وتمت قراءتها بعد وفاته، في مجلس الشيوخ علناً، بأن عليهم الابقاء على حدود الامبراطورية كما هي، بحيث لا تتعدى صحراء العرب ، وصحراء افريقيا جنوباً.

– ومع ذلك ظلت مسألة ايجاد نفوذ روماني في موانئ المحيط الهندي طموحاً يراود هذا الامبراطور ، سعى من أجل تحقيقه، إذ عمل على تدعيم أسطوله في البحر الأحمر وتقويته، ساعد في ذلك أن الرومان بعد هذه الحملة، أصبح لهم موانئ قدم في ميناء لوبيكي كومي"

¹ جواد علي، المرجع السابق، ج7 ص43-58.

² سحاب فكتور ، المرجع السابق، ص55-56.

النبطي، مما يعني سيادتهم على شمال البحر الأحمر، فازداد تركيزهم على الملاحة فيه، كما ازداد نشاطهم التجاري¹، لاسيما بعد أن وجهوا السفن القادمة من الموانئ الجنوبية الى ميناء "ليوكوليمن" المصري، مع نهاية القرن الأول ق.م، وبداية القرن 1م- فصارت السفن تفرغ حمولاتها هناك، ثم انتقل برياً الى الاسكندرية وهذا الوضع بالطبع أثر على الطرق البرية بين مدن الانباط وغزة، اذ أصيب الميناء النبطي بحالة من التراجع والضعف، انعكس تأثيرهما على مدن الانباط على امتداد هذه الطرق.

- من الواضح أن كل تلك الأحداث دفعت بالرومانيين نحو تركيز جهودهم على الملاحة في البحر الاحمر-في سبيل تحقيق غاياتهم، والمتمثلة في الوصول الى مصادر التجارة الشرقية، فأدى ذلك الى انتعاش التجارة البحرية بين مصر والهند في القرنين الأوليين للعصر الميلادي.

(2) تعرف الغربيين على أسرار الملاحة في المحيط الهندي:

- ظلّ المحيط الهندي مستعصياً على الملاحين الغربيين مدة طويلة من الزمن ، إذ كانت السفن القادمة من البحر الاحمر لا تتعدى ميناء عدن²، فترفع حملتها هناك، وتأخذ مبتغاها من سلع وبضائع الشرق، لتعود أدراجها دون أن تتجاوزه ويبدو أن ملاحي جنوب شبه الجزيرة العربية وتجارهم احتكروا التعامل مع الموانئ المطلة على المحيط الهندي لاسيما الموانئ الهندية ؛ فالسفن القادمة من هذه الموانئ، إذا اختارت التوجه نحو جنوب شبه الجزيرة العربية، لا

¹ محمد عبدالقادر بافقيه، توحيد اليمن القديم الصراع بين سبأ وحمرين وحضرموت من القرن الاول الى قرن الثالث الميلادي تر: د.محمد علي زيد، ط1، المعهد الفرنسي في آثار العلوم الاجتماعية، صنعاء، 2007م، ص 147-148.

² سحاب فكتور، المرجع السابق، ص 61.

شرقها تكون محطتا رسوها إما ميناء "قنا" أو ميناء "عدن"، ومن هذين المينائين يتم نقل البضائع إما عن طريق البر، أو بحرياً بواسطة السفن التي تصل هذين المينائين¹.

– احتفظ الملاحون العرب والهنود بأسرار الملاحة في المحيط الهندي، بما في ذلك الطرق البحرية ومسالكها، واتجاهات الرياح الموسمية صيفا وشتاءاً، ومواقيتها ويبدو أنهم لم يفشوها لغيرهم من الشعوب²، مثلهم في ذلك مثل الفينيقيين، الذين احتفظوا بأسرار ملاحة البحر الأبيض، ولم يدركها الاغريق إلا فيما بعد.

– يمكن للمرء أن يفترض قيام محاولات عديدة بغرض تحقيق الرحلة-عبر البحر بين مصر والهند منذ نجاح بعثة الاسكندر الأكبر الثالثة في الدوران حول شبه الجزيرة العربية، التي انطلقت من بابل، الى مصر عبر البحر الأحمر.

– فقد جاء في الوثائق المصرية البطلمية ما يشير الى نجاح التاجر اليوناني "إيودوكسوس" في الوصول الى الهند، في زمن بطليموس الثاني "284-246 ق.م-كما تذكر أن بطليموس الثاني" ذاته أرسل بعثات بحرية عبر البحر الاحمر، بهدف استكشاف شواطئ بلاد العرب³، غير أن رحلات السفن من مصر الى الهند لم يكتب لها النجاح والاستمرارية والانتظام، إلا بعد أن تمكن الملاح اليوناني هيبталوس" من التعرف على أسرار الملاحة في المحيط الهندي، فقد جاء في كتاب الطواف، أنه عرف مواقع الموانئ، وحالة الجو والبحر، اكتشف سر الرياح

¹ محمد عبدالقادر بافقيه، توحيد اليمن القديم الصراع بين سبأ وأحمير وحضرموت من القرن الاول الى القرن الثالث الميلادي، المرجع السابق، ص24.

² فليب حتي، المرجع السابق، ص104.

³ فرح أبو اليسر، المرجع السابق، ص56.

الجنوبية الغربية التي استخدمها في عرض المحيط ليصل الى الهند مباشرة، ويبدو أن ذلك قد حدث في زمن بطليموس الثامن سوتير الثاني "116-80 ق.م.¹

– بعد هذا الاكتشاف الذي تحقق للأمم الغربية (اليونانيون والرومانيون) أصبحت الرحلات البحرية منتظمة من مصر الى الهند، وهو ما أدى الى تنشيط الملاحة في البحر الأحمر، والمحيط الهندي، وتراجع النشاط التجاري على الطرق البرية، وفي هذا الصدد يبدو أن التطور الكبير في صناعة السفن ، من حيث الحجم والاشعة، وزيادة عدد المجاديف في السفينة من العوامل المهمة التي ساعدت في نهضة الملاحة والتجارة البحرية.²

II. العلاقة بين الممالك وموقفها من الوضع الدولي بعد الاسكندر الأكبر:

(1) وضع الممالك في القرون الثلاثة السابقة للميلاد:

– لا يبدو أن هنالك شكّ حول ما يذهب اليه العديد من علماء التاريخ والمؤرخون، من أن الأحداث الخارجية والصراعات الدولية على مسرح الشرق القديم، وما حملته من مشاريع وأطماع، بما فيها السعي الحثيث للسيطرة على التجارة الشرقية، قد أثرت أيما تأثير على ممالك اليمن القديمة، إذ أن اليونانيون ثم الرومانيون "على كامل المنطقة الواقعة الى الشمال من شبه الجزيرة العربية، بالإضافة الى مصر ، كما أفضت محاولات البطالمة والرومانيين الدعوية من أجل الوصول الى مصادر التجارة الشرقية، الى سيطرتهم على الملاحة في البحر الأحمر، وتمكنهم من التعامل على ضفته الافريقية، فانفتحت أمامهم نافذة للاطلاع على عالم المحيط الهندي، وتحققت لسفنهم امكانية الابحار من مصر الى الهند، وبالمحطة انتعشت التجارة

¹ عبدالله حسن الشيبه، أفلو الحضارة اليمنية ملاحظات أولية، المرجع السابق، ص24.

² محمد عبدالقادر يافقيه، توحيد اليمن القديم الصراع بين سبأ وحمرير وحضرموت من القرن الاول الى قرن الثالث الميلادي، المرجع السابق، ص59.

البحرية وتراجعت التجارة على الطرق البرية، وهو الأمر الذي انعكس سلبياً على ممالك اليمن القديمة، لاسيما على أوضاعها السياسية والاقتصادية، وتردت أحوالها، الى أن أدت في النهاية الى سقوطها الواحدة تلو الأخرى¹.

بيد أن الحقيقة قد تجانب بعض من صوابها؛ إذا تمّ اعتبار أطماع القوى الأجنبية وصراعاتها، وما نتج عنها من تطورات على الصعيد الدولي هي وحدها فحسب المسؤولة عما آلت اليه أوضاع الممالك من تراجع وسوء، على ما يبدو تتحمل جزءاً مهماً من المسؤولية إذ وقرت الظروف الملائمة والأرضية الخصبة التي سمحت لتبعات الأحداث الدولية والأطماع الأجنبية تلك، أن تؤثر على أوضاعها الداخلية، الى درجة أصبحت معها غير قادرة على مجابهتها، وفي السطور التالية ما يمكن أن يعين على توضيح ذلك.

* منذ أن وطأت أقدام الاسكندر الأكبر" وقواته أراضي الشرق وقيامه بإسقاط الممالك، والسيطرة على مناطق واسعة، تشكل مجتمعة قوساً يحيط بشبه الجزيرة العربية، يمتد من مصر غرباً ويمر بمناطق سورية والعراق وبلاد فارس، شمالاً ليصل بلاد السند" شرقاً، الى أن عثر المستجدات الخارجية بلا بل ولم تستشعر الخطر، الذي صار يدنو منها ويحرق بمصالحها التجارية².

* لم تكثر الممالك على ما يبدو أيضاً للصراع الدولي الدائر الى الشمال منها منذ أن اندلع بعد وفاة الاسكندر الأكبر"، على الرغم من أن مناطق ذلك الصراع كانت تشكل أهم الأسواق التي يتم فيها تصريف تجارتها، كما انها لم تحدد موقفاً واضحاً منها، بما فيها أطراف

¹ عبد الله يوسف محمد، المرجع السابق، ص 321-322.

² فرح أبو اليسر، المرجع السابق، ص 25-38.

الصراع الدولي-للسلع والبضائع التي تتاجر بها قوافلها اللبان والمر والتوابل على وجه التحديد، مكتفية بجني أرباحها الآتية، دون القيام بأية خطوات من شأنها أن تحمي تلك التجارة مستقبلاً.

لاسيما بعد أن أحكمت القوى الأجنبية سيطرتها. على الطرق البرية في الشمال وبدأت تنزو إلى أطرافها الأخرى في الجنوب¹.

* لم تسع الممالك إلى التوسع شمالاً ، لايجاد موانئ قدم لها هناك، بحيث تكون قريبة من المناطق التي تصل إليها قوافلها، وبالمقابل لم تعزّز تواجدتها في مستوطنات الشمال، من خلال إقامة المنشآت التي من شأنها أن تجعل منها مناطق جذب تجاري دائم لا يمكن تجاوزه.

* أهملت الممالك توطيد علاقاتها مع الكيانات المحلية التي تتحكم في بمركز التجارة وموانئ شرق شبه الجزيرة العربية، إذ أن خطوة مثل هذه كان يمكنها أن تخلف نظاماً تجارياً موحداً، يدير أنشطة التجارة، في كل شبه الجزيرة العربية، مع وجود مستوطنات الشمال، ويتحكم بأهم مداخل التجارة الشرقية التي كانت قد وصلت إليها القوى الأجنبية.

* لم تسرع الممالك بمحاولة مبكرة منذ وصول القوى الغربية إلى الشرق لفرض السيطرة على مدخل البحر الأحمر، الجنوبي واثبات ذاتها كقوة لا يمكن تخطيها أو غمط حقها في التجارة الدولية. إذ أن فقدانها لجزء كبير من التجارة البرية، وكذا في تسيير أنشطة التجارة البحرية بين مصر والهند² ، وليس الاكتفاء بالدور الذي قامت به بعض موانئها فقد موشج موزع" على سبيل المثال.

¹ فيليب حتي، المرجع السابق، ص 297-300.

² عبد الله حسن الشبيبة ، محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2006م، ص 89- 103 .

* لا يبدو أن الممالك قد تنبّهت للقوة الصاعدة على البرّ المقابل لسواحلها الجنوبية الغربية مملكة أكسوم" ولم تعمل على إذكاء تواجدها المبكر هناك، بما يضمن الولاء لها من قبل سكان المنطقة ، أو على شرهم وهو ما حدث لاحقاً¹.

– من خلال ما جاء في الفقرات أعلاه يبدو أن الممالك اليمن القديمة وقتذاك، الثلاثة القرون الأخيرة السابقة للميلاد ، زمن الصراعات الدولية على مسرح الشرق القديم، وترتب الاوضاع فيما بينها بحيث توجه جهودها وتسخر طاقاتها لمواجهة المستجدات الخارجية، بما يضمن لأساسها الاقتصادي المشترك "التجارة" التقدم والديمومة على المستوى الدولي، اتجهت الممالك نحو ما يشبه الانغلاق على ذاتها، ودخلت مرحلة من الاضطرابات والحروب، لاسيما منذ القرن الثاني ق.م-غير أن الاهداف تلك الحروب على الأرجح قد تغيرت ؛ مقارنة مع أهداف الحروب التي كانت تنشب في القرون السابقة²، بحيث أصبحت الممالك تطمح بعضها ببعض، وتستهدف السيطرة على الآخر، وليس أدلّ على ذلك مما حدث لمملكة معين"، ففي ظلّ احتدام الصراع بين مملكتي قنّبان وسبأ" اتجهت قنّبان نحو محاولة تضيق الخناق على سبأ، على ما يبدو من الشمال والجنوب، غير أن مملكة سبأ على الأرجح كانت أكثر تماسكاً منهما³، ولم تفوت فرصة انشغال قنّبان بمحاولة تسوية مشاكلها الداخلية، التي استجذبت مع

¹ عبدالله حسن الشيبه، محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، المرجع السابق، 103-111.

² محمد عبدالقادر بافقيه، توحيد اليمن القديم الصراع بين سبأ وحمرير وحضرموت من القرن الاول الى القرن الثالث الميلادي، المرجع السابق، ص22-23.

³ رويان كريستيان جوليان، التسلسل التاريخي ومشكلاته في كتاب اليمن في كتاب مملكة سبأ، تر: بدر الدين عردوكي، معهد العالم العربي ودار الأهالي، باريس ودمشق، 1999م، ص180.

ظهور قبائل حمير"، كقوة صاعدة على الساحة السياسية، فانقضت على معين وقضت عليها نهائياً في القرن الأول ق.م¹.

– توالى الأحداث الداخلية المضطربة في ممالك اليمن القديمة في القرن ذاته، فقتبان عانت كثيراً من استمرار الصراعات ضدّ سبأ² وتطلع جارتها الشرقية حضرموت³ في ظلّ الضغط المتزايد عليها من قبل الحميريين، الذين تمكنوا من السيطرة على الأجزاء الساحلية مع نهاية ق.م 1-ق.م، لتفقد قتبان⁴ ما كانت تسيطر عليه من التجارة البحرية⁵، أما مدن الجوف التي آلت السيطرة عليها إلى السبئيين، فقد استوطنها الأعراب⁶، وسبأ ذاتها مع نهاية القرن 1، ق.م- يبدو أنه قد نال الوهن منها بعض الشيء، بحيث انتظرت قدوم الحملة الرومانية 24 ق.م، إلاّ قعر دارها، وأغلب الظنّ أنها لم تبد المقاومة المفترضة، فمدن الجوف سقطت بسهولة⁷، وعلى الأرجح الأعراب القاطنون في تلك المدن هم من اشتبك مع الرومان⁸.

– حتى وصلت الحملة إلى مأرب ذاتها، التي تعرضت لحصار قصير مدته ستة أيام، فإنّ أحداث الحملة بحد ذاتها تشير إلى الحالة السيئة التي وصلت إليها مملكة سبأ، وكذلك الممالك الأخرى، إذا لم تذكر النقوش أية مقاومة لها ضد الرومان، إلى الوصول نجدة إليها من الممالك الأخرى، ثم أن تجرئ الأنباط على وجه الخصوص على الاشتراك في الحملة بحوالي

¹ عبدالله حسن الشيبه، محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، المرجع السابق، ص 20.

² محمد عبدالقادر بافقيه، توحيد اليمن القديم الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الاول الى قرن الثالث الميلادي، المرجع السابق، ص 35.

³ عبد الله يوسف محمد، المرجع السابق، ص 322-323.

⁴ رويان كريستيان جوليان، المرجع السابق، ص 280.

⁵ محمد عبدالقادر بافقيه، المرجع السابق، ص 75-76.

1000مقاتل¹ يوحى دون ريب بضعف الممالك آنذاك بحيث يتطلع الانباط كما يتطلع الرومانيون للوصول الى أراضيها وتحقيق أطماعهم هناك.

— إذا تلك هي الخلفية ذات الأفق البعيد، التي تركبت عليها مشاهد حلقات سقوط ممالك اليمن القديمة، فإذا كانت الصراعات الدولية والأطماع الأجنبية وما نتج عنها من انتعاش للتجارة البحرية، وتراجع التجارة البرية على طريق اللبان على وجه الخصوص شكلت عاملاً سيئاً، فإن الممالك ذاتها بإعطاء ظهرها للأخطار الخارجية وتخليها عن مشروع وحدتها التجارية، أحد أهم أسباب ازدهارها لصالح أطماعها الانفرادية تكون قد شكلت عاملاً أكثر سوءاً، وأكثر ضرراً، وبهذا تكون بداية النهاية لممالك اليمن القديمة قد ظهرت مبكراً، وما تلاها من أحداث تعد أسباباً ترتبت عن هذين العاملين، أدت الى سقوطها النهائي.

(2) وضع الممالك في العهد الميلادي:

— شهد جنوب شبه الجزيرة العربية، بكياناته السياسية التي ظلت تؤدي أدوارها بعد ميلاد المسيح، مجموعة من الظواهر والأحداث التي عكست طبيعة الوضع الداخلي، والتطورات المستجدة على الصعيد الخارجي، بيد أن العديد منها كان ظهوره متأثراً بشكل أو بآخر بمتغيرات النشاط التجاري، لعل أهمها:

¹ Strabo, The Geography of Strabo, op cite ,p347..

أ) تبدل دور الأعراب من المدني إلى العسكري:

أول ذكر للأعراب¹ في نقوش ممالك اليمن القديمة حتى الآن جاء في نقش سبئي يعود للقرن الأول ق.م، بيد أنه منذ القرن 1م. أخذت النقوش تبرز أدوارهم، وتوضح مدى تأثيرهم في مجريات الأمور، لاسيما على الصعيد السياسي والعسكري².

في الواقع أن ذكر الأعراب في النقوش منذ القرن 1. ق.م- قد لا يعني البتة أنه لم يكن لهم وجود من قبل، أي ذكرهم في النقوش ليس دليلاً على بداية الظهور، بقدر ما يمكن أن يكون دليلاً على أن تبدلاً طرأ في واقع معيشتهم، إذ يبدو أن الازدهار التجاري لممالك اليمن القديمة في الألف الأولى ق.م، جعلت الأعراب يندمجون في النسق الاجتماعي/الاقتصادي، العام لاسيما بعد أن وفر لهم النشاط التجاري بعض المهن والحرف، أفادوا منها وأصبحت أساس معاشهم، وتتمثل في بالعمل كجمالة، مرشدين للقوافل، وتوفير بعض متطلبات قوافل على الطريق، وكذا الحراسة والأمن لها أثناء مرورها في الأراضي التي يقيمون عليها، ناهيك عن عملهم الأساس، رعي الإبل وتوفيرها بكميات كافية³، تغطي احتياجات انعقاد قوافل التجارة، فإن الأعراب حينها كانوا منصهرين في نسيج المجتمعات الحضرية، بسبب ما وفرت التجارة لهم من موارد معيشة، تبدو ثابتة ومستقرة بقدر استقرار التجارة على الطرق البرية في شبه الجزيرة العربية، التي ظهرت بفعل العاملين "الداخلي والخارجي" المؤثرة على أوضاع الممالك السياسية والاقتصادية، والاجتماعية منذ ق.الأول ق.م، أثرت على الأعراب ذاتهم ربما بصفة

¹ عبدالله حسن الشيبه، محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، المرجع السابق، ص 26.

² علي عبد الرحمان الأشبط، الأعراب في تاريخ اليمن القديم دراسة من خلال النقوش من القرن الأول ق.م حتى القرن 6م، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م، ص 32-52.

³ عبد الله يوسف محمد، المرجع السابق، ص 260-261.

خاصة، لاسيما بعدما تضررت تجارتهم على الطرق البرية منذ مطلع الميلاد، حيث كانت معتمدة عليها بدرجة كبيرة، إذ فقدوا حينها العديد من مواردهم بفعل تراجع أهمية المهن والحرف وربما توقف بعضها التي كانوا يمتهنونها على تلك الطرق، وهو على ما يبدو ما دفعهم الى البحث عن موارد بديلة يعوضون، بها ما فقدوه جراء انكماش التجارة البرية.

– فكانت النتيجة ظهور مورد اقتصادياً آخر هو "الغزو"¹ بحيث تعمدوا الاغارة على المناطق الحضرية ، لاسيما في الأراضي التابعة لمملكة سبأ، وبمرور الوقت طرأ تطوراً على دورهم القتالي هذا الغزو، عندما بدأت بعض الممالك تستخدمهم في حروبها بعضها ضد بعض، ثم ما لبثوا أن أصبحوا جزءاً من الجيش النظامي "خميس"².

– إذا بتأثير الازدهار التجاري، كان دور الأعراب حول ممالك اليمن القديمة دوراً مدنياً، من خلال مساهماتهم في النشاط التجاري لهذه الممالك ، بينما عندما تراجعت التجارة البرية، منذ القرن الأول ق.م، وفقد الأعراب مصالحهم فيها، لجئوا للغزو على المناطق الحضرية، فاعتمدوه مورداً اقتصادياً لهم، وتحول دورهم الى دور قتالي، وهي تحاول معالجة مشاكلها مع الأعراب أن تثبت هذا الدور، عندما أشركتهم في الحروب، حتى صاروا فيما بعد يشكلوا جزءاً مهماً من جيوشها.

ب) الصراعات والحروب بين الممالك:

– شَنَّ جنوب شبه الجزيرة العربية، العهد الميلادي بوجود أربع كيانات سياسية موزعة على أقاليمه المختلفة ، مملكة حضرموت التي تسيطر على الجزء الجنوبي الشرقي حتى سألكن

¹ علي عبد الرحمن الأشبط، المرجع السابق، ص 82-83.

ظفار اليوم"، وتتحكم، بأهم الموانئ هناك قنا" وسمهرم" والكيان الريداني" الحميري" الذي نما وامتد ليشمل جزء الجنوبي الغربي، بما فيه من سواحل ومملكة سبأ" الى الشمال منهما والتي دخلت تحت سيطرتها كما تقدم، يضاف اليهم مملكة قتبان" التي أصبحت تحكم فقط المناطق المحيطة بأوديتها على حواف رملة السبعين¹، بعد أن فقدت أراضي نفوذها لصالح الحميريين والسبئيين.

— في الواقع كان يمكن لهذا التمرکز أن يعيد شيء من التوازن في مجال النشاط التجاري لممالك اليمن القديمة، طالما وأنه لا زال جزءاً مهماً من التجارة الشرقية بأيديها، اللبان والمرّ بالتحديد، حتى وإن كان البطالمة قد تمكنوا من تكثيف ارسال سفنهم الى موانئ شبه الجزيرة العربية، منذ أن انتعشت التجارة البحرية مع مطلع الميلاد²، وبالفعل يبدو أنه كانت هناك محاولة لأحياء ما يشبه التفاهات القديمة، في ادارة النشاط التجاري البري، على الأقل ما يفهم من احدى النقوش المكتشفة، الذي يشرح سبب اندلاع الحرب بين حضرموت وسبأ"، وكرب إل بين السبئي مع نهاية القرن الأول م.م، إذ يشير الى أن الحرب اندلعت بعد فشل مفاوضات بين الجانبين وعلى الأرجح أنّ تلك المفاوضات كانت تدور حول المصالح التجارية بين الجانبين.

وفي هذا الصدد لا يستبعد أن مملكة حضرموت ، التي شهدت منذ القرن الأول الميلادي، انتعاشاً اقتصادياً ملحوظاً، في ظلّ تحكمها بمناطق انتاج اللبان ساكلن³، وازدهار موانئها لاسيما مينائي سهرم وقنا"، ربما وجدت ذاتها في موقف يمكنها من أن تتخلص من التحكم السبئي بالمنفذ الشمالي لطريق التجارة البري، أو تقلل من التكاليف التي تدفعها لسبأ".

¹ محمد عبدالقادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص 237.

² نفسه، ص 437.

³ روبان كريستيان جوليان، المرجع السابق، ص 281.

لعبور التجارة عبر أراضيها¹ باتجاه أسواق تصريفها في الشمال، ولم تلبث الممالك أن دخلت في صراعات وحروب بعضها ضدّ بعض ، وكانت من سوء بحيث أدت الى سقوطها الواحدة بعد الأخرى، بداية بقتبان²، ومروراً بالحق سبأ بالكيان الحميري، في زمن الملك ياسر يهنعم" وابنه شمر يهرعش" وصولاً الى نجاح الملك شمريهرعش" بعد أن انفرد بالحكم في ضمّ حضرموت ليتخذ قلب "ملك سبأ وذي ريدان" وحضرموت ويمنت" منذ أواخر القرن 3م³، على الرغم من خضوعها النهائي كان في أواسط القرن الرابع الميلادي في عهد خلفائه.

(ج) التدخل الأجنبي:

– يكاد الأمر يكون بحكم المؤكد من أن أهم أهداف التدخل الأجنبي في جنوب شبه الجزيرة العربية، هو التجارة والأنشطة المرتبطة بها، ولا ينطبق ذلك على الاحتلال الحبشي ثم الفارسي للمنطقة في القرن السادس الميلادي فحسب وإنما ينطبق أيضاً على الحضور الحبشي منذ القرن 2م في المناطق الغربي لـ شبه الجزيرة العربية، الممتدة من ينبع شمالاً حتى بلاد السهرة سهرتن" السبئية آنذاك، في وادي مور جنوباً⁴.

– أول ظهور للأحباش في المنطقة جاء عن طريق اشتراكهم في الحلف الثلاثي سبأ وحضرموت والحبشة⁵ الموجه ضد الكيان الحميري، ويبدو أن أهدافهم فيه الأحباش كانت القضاء على منافسة الحميريين، لهم في التجارة البحرية، وكذا على الأنشطة التجارية في

¹ محمد عبدالقادر بافقيه، توحيد اليمن القديم الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الاول الى قرن الثالث الميلادي، المرجع سابق، ص238.

² أسمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص147-148.

³ عبدالله حسن الشيبه، محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، المرجع السابق، ص28.

⁴ نفسه، ص103-111.

⁵ محمد عبدالقادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص259.

جنوب البحر الأحمر، والقرن الإفريقي، وبلاد الزنج¹، بالإضافة الى مدّ نفوذهم في جنوب شبه الجزيرة العربية²، بسبب موقعه المتميّز وسط التجارة الدولية والبحرية والبرية.

– ونتيجة ما آلت اليه الأمور بعد الحرب الذي خاضها ضد الحميريين أصبح للأحباش نفوذاً فعلياً على الشريط الساحلي الممتدّ من تهامة³ حتى عدن⁴، وإلى نجران وإقليم المعافر⁵، فلم يكف الأحباش من حينها تدخلهم في مجريات الأمور، بل أصبحوا طرفاً مؤثراً في الصراع الدائر بين الممالك، ومن ثمّ كان على حمير وكذا سبأ مواجهة هذا التدخل الأجنبي، حتى حسم الصراع بينهما مع نهاية القرن الثالث م⁶ - فلم يتمّ ذكر الأحباش على عهد شمر يهرعش⁷ إذ ربما كان قيام الدولة المركزية سبباً لنهاية الجولة الأولى لتدخل الأحباش المباشر في جنوب شبه الجزيرة العربية، وأغلب الظنّ أن ذلك استمر طيلة القرنين الرابع والخامس الميلاديين⁷.

– في الربع الأول من القرن السادس ميلادي، كان التدخل الأجنبي الحبشي في اليمن جولة أخيرة من خلال حملتين أولى عام 518م وأخيرة عام 525م⁸، سقطت بعدهما الدولة المركزية، وأفل نجمها، غير أنّ تدخلاً أجنبياً آخر حلّ محلّ الأحباش في اليمن، تمثل بالتدخل

¹ محمد عبدالقادر بافقيه، توحيد اليمن القديم الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي، المرجع السابق، ص 264.

² أسهمان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص 240.

³ محمد عبدالقادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص 264.

⁴ عبدالله حسن الشيبية، محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، المرجع السابق، ص 112.

⁵ محمد عبدالقادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المرجع السابق، ص 226.

⁶ نفسه، ص 284.

⁷ أسهمان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص 243.

⁸ سحاب فكتور، المرجع السابق، ص 130.

الفارسي، الذي جاء تحت ذريعة تقديم المساعدة لتخليص المنطقة من الحكم الحبشي¹، إلا أن المنطقة ما لبثت أن وقعت تحت سيطرة الفارسية زمناً امتدّ منذ الربع الأخير من القرن 6م- حتى دخلت اليمن تحت لواء الاسلام².

- إذا كان التدخل الأجنبي الحبشي في جولاته الأولى في القرنين 2 و3- الميلاديين قد تسبب باضعاف حمير والاضرار بمصالحها وربما تأخير حسمها للصراع على السيادة ، ثم أدى الى تأجيج الحروب بين الممالك التي كانت محصلتها في نهايتها سقوط حضرموت وضمّ سبأ الى حمير، على طريق قيام دولة مركزية، وما صاحب كل ذلك من هدر للطاقات والامكانيات المادية والبشرية، بعد أن سخرتها الممالك لمجهوداتها الحربية، وكذا التدخل الفارسي في القرن السادس ميلادي، لم يتسبب بسقوط الدولة المركزية فحسب، وهي الوارثة للمالك اليمن القديمة، بل أيضاً تسبب بسقوط اليمن لأول مرة في تاريخها تحت نير الاحتلال الأجنبي.

- بعيداً عن تفاصيل التدخل الحبشي الأخير وكذلك التدخل الفارسي، فإنه من الملاحظ أن دوافعهما لم تخرج عن اطار الأطماع الأجنبية في التجارة الشرقية والطرق المؤدية اليها³، بيد أنّ نجاح التدخل الاجنبي في تحقيق أهدافه، باعتباره جزءاً من العامل الخارجي" الذي أدى الى سقوط ممالك اليمن القديمة وحضارتها لم يكن له أن يتحقق ما لم تكن الظروف الداخلية كعامل داخلي قد هيأت له أسباب النجاح لعلّ أهمها:

¹ أسْمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص322.

² محمد عبدالقادر بافقيه، توحيد اليمن القديم الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الاول الى قرن الثالث الميلادي، المرجع السابق، ص264-265.

³ أسْمهان سعيد الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص279-322.

* كل التدخلات الأجنبية تمت عن طريق استدعاء طرف داخلي للطرف الخارجي، فسبباً كانت السبب في التواجد الحبشي، الأول للقرن الثاني الميلادي، عندما دعت الأحباش للاشتراك في الحلف الثلاثي ضد حمير"، كما أن التدخل الأخير للأحباش الربع الأول من القرن السادس الميلادي، كان بسبب تنكيل الملك ذو نواس "بمسيحي شعبه، لأمر الذي دفع بعضهم للتوجه الى نجاشي الحبشة مع نجليهم المحروق أكثره، للاستجداد به¹ ، فكانت الحملة الحبشية، الأولى ولا يختلف الأمر بالنسبة للحملة الحبشية، الأخيرة إذ وسع ذو نواس اضطهاده المسيحيين، ولاسيما في معاقلمهم ،ظفار، والمخا، وكذا نجران، حيث وقعت طامته الكبرى بالمسيحيين، وهي الحادثة المعروفة في التاريخ بحادثة "وقعة" الأخدود² ، كاحدى أسوء حوادث الاضطهاد الديني، وأخيراً ما كان من أمر قدوم الفرس، إذ كان بسبب لجوء سيف بن ذي يزن قائد الثورة على الأحباش للخارج، لطلب المساندة الدولية بهدف التخلص من التواجد الحبشي، إلى أن وصل الى كسرى الفرس فكانت تلك فرصة على طبق من ذهب، استغلها الفرس وحققوا تطلعاتهم في التواجد على سواحل جنوب شبه الجزيرة العربية، والمدخل الجنوبي للبحر الأحمر³.

* في التدخل الحبشي الأول: لم يكن من مصلحة سبأ أن تعمل على إضعاف الكيان الحميري، أذ كانت النتيجة أن تنامت قوة الدولة الحبشية وفرضت سيطرتها على البحر الأحمر زمناً ليس بقصير وترتب على ذلك تراجع لتجارة سبأ، على وجه الخصوص في الداخل.

¹ أبو هلا الحسن بن عبد الله العسكري، الأوائل، ج1، تح: محمد المصري ووليد قصاب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1975م، ص28-29.

² سحاب فكتور، المرجع السابق، ص133 .

³ محمد عبدالقادر بافقيه، توحيد اليمن القديم الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الأول إلى قرن الثالث الميلادي، المرجع السابق، ص265.

— جاء التدخل الحبشي الأخير في وقت كانت الأوضاع الداخلية متردية، ولذلك لعدة أسباب:

- * الصراع الديني بين أنصار اليهودية وأنصار المسيحية.
- * ضعف السيطرة الدولة على كل المناطق، بعد أن اتجه الأقبال والأدواء الى تكوين مراكز قوى مستقلة على السلطة المركزية¹، بدليل أن ذو نواس لم يستطع أن يوحد كلمتهم لمواجهة الأحباش.
- * لا يبدو أن الدولة المركزية ربما منذ قيامها قد عملت على بناء قوات بحرية، على الرغم من الحاجة المفترضة لها، بسبب النشاط التجاري البحري².

¹ اسمهان سعيد الجرّ، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، المرجع السابق، ص 269.

² نفسه، ص 287.

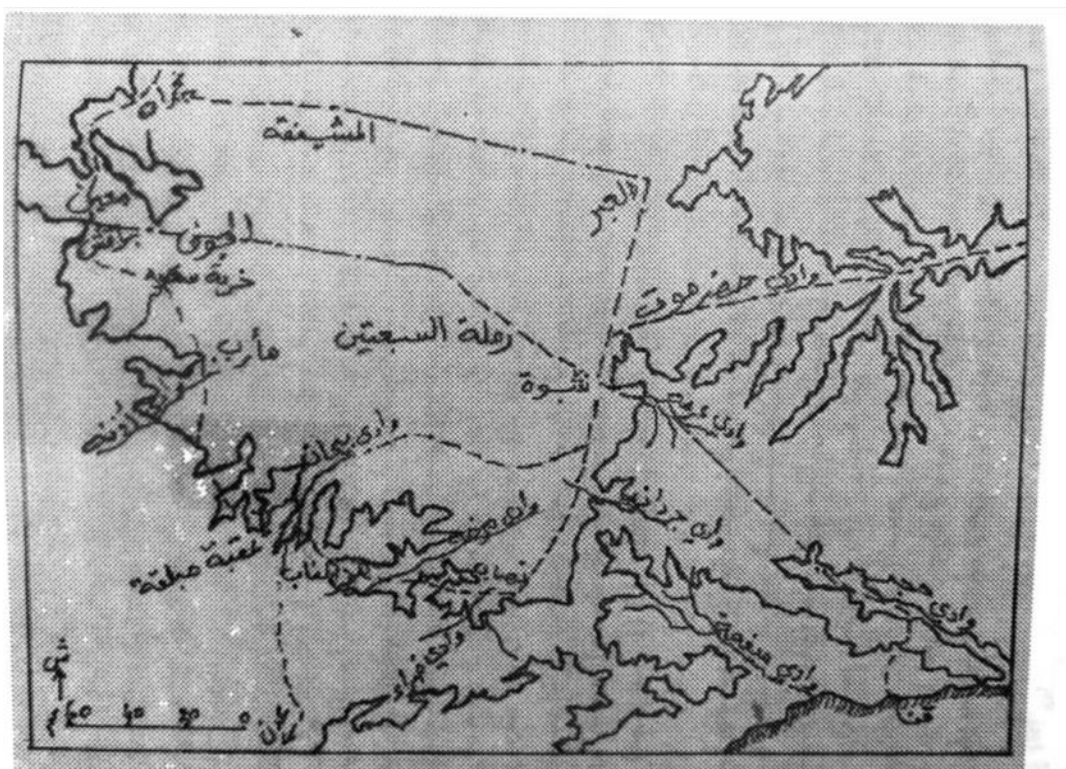
خاتمة

من خلال هذه الدراسة التي أخذت على عاتقها البحث في أثر التجارة على ممالك اليمن القديمة في كل مراحل تطورها، منذ النشأة حتى السقوط، وما تخللها من عهود قوة وازدهار، فقد توصلت إلى النتائج التالية:

- * تعد البيئة الجغرافية لجنوب شبه الجزيرة العربية من العوامل المهمة التي ساعدت على قيام النشاط التجاري وتطوره في هذه المنطقة، وذلك بسبب توفيرها الظروف الطبيعية الملائمة والازمة لظهوره ونموه، كتباين طبيعة الأرض، وتنوع المناخ، والموقع المتميز بين حضارات العلم القديم، وسط خطوط التجارة الدولية البحرية والبحرية.
- * شكلت التجارة أساسا مهما -و ربما رئيسيا- في قيام ممالك اليمن القديمة، التي كان قيامها -بالضرورة- استجابة منطقية للتطورات الاقتصادية والاجتماعية التي تولت بفعل ثورت التجارة، ومواكبة طبيعية للتأثيرات الخارجية، كون المنطقة أصبحت تتعامل مع مناطق عرفت قيام الممالك منذ زمن بعيد.
- * ظهور ممالك اليمن القديمة في جنوب شبه الجزيرة العربية، منح المنطقة هوية جديدة، اذ أصبحت تعرف بأسماء ممالكها، كما تطورت فيها أشكال العلاقات التي انطلقت نظمت حياة سكانها في العصور السابقة.
- * أدى تكامل النشاط التجاري بين الممالك إلى قيام وحدة اقتصادية أساسها التجارة.
- * أثرت الجارة على طبيعة العلاقات التي سادت بين الممالك في زمن ازدهارها في الألف الأول قبل الميلاد، إذ كانت سببا مهما لسيادة السلام بينها، كما كانت سببا لا يقل أهمية في خوضها غمار الحروب والصراعات ضد بعض.
- * ساهم النشاط التجاري في زيادة ثروات الممالك، فانعكس ذلك إيجابيا على كل أنشطتها الاقتصادية، بما فيها الزراعة وأنظمة الي، كما أدى إلى ظهور العديد من المهن والأنشطة التي ارتبطت بالتجارة ذاتها.

- * تأثير التجارة على الوضع الاجتماعي يتجلى في ظهور نوع من الاندماج الاجتماعي بين سكان الممالك، وتعيش قائم على المصالح .
- * ربما كان لوحده النشاط التجاري بين الممالك تأثيرها على وحدة الفكر الديني، التي ظهرت بين ممالك اليمن القديم.
- * تجسد دور الممالك في تقدم النشاط التجاري و ازدهاره في الألف الأول قبل الميلاد، في اصدارها القوانين المنظمة للنشاط التجاري في أسواق مدنها التي اهتمت ببنائها و تشييد المنشآت الضرورية لتفعيلها، نهيك عن قيامها بتعبيد الطرق وشق الممرات، وسك العملة.
- * أدركت الممالك أهمية موقعها المتوسط، الذي يربط مناطق العالم القديم، فاتجهت نحو اقامت علاقاتها بشك منفصل مع كل منطقة على حدى، الأمر الذي ساعدها في أن تؤدي دورا مهما وحيويا للعبور للتجارات بين الشرق والغرب.
- * تعد التجارة محورا مهما دارت حولها العوامل التي أدت إلى سقوط الممالك وأفول حضارتها.
- * أثرت الصراعات الدولية بين قوي الشرق والغرب- بما حملته من أطماع- على ممالك اليمن القديمة، فقد كان ضمن أهم أهدافها السيطرة على الطرق التي تمر عبرها التجارة الشرقية، ولم تلبث أن توجت بانتعاش التجارة البحرية وتراجع على الطرق البرية، فكان ذلك العامل الخارجي، التي ترتبت عليه بعض أسباب سقوط الممالك.
- * أثر العامل الداخلي في سقوط ممالك اليمن القديمة أكثر وقعا من العامل الخارجي، بحيث تتحمل الممالك ذاتها الجزء الأكبر من المسؤولية، في ظهور أسباب الانهيار الأفول.

الملاحق



الملحق رقم 01: الطرق الداخلية للقوافل أنظر: الجرو أسمهان سعيد، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، (د.م.ن)، 2003م، ص 67.



الملحق رقم 03: رحلة الملكة حتشبسوت إلى بلاد بونت أنظر: أنور عبد العليم، الملاحنة وعلوم البحار عند العرب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1979م، ص 17.



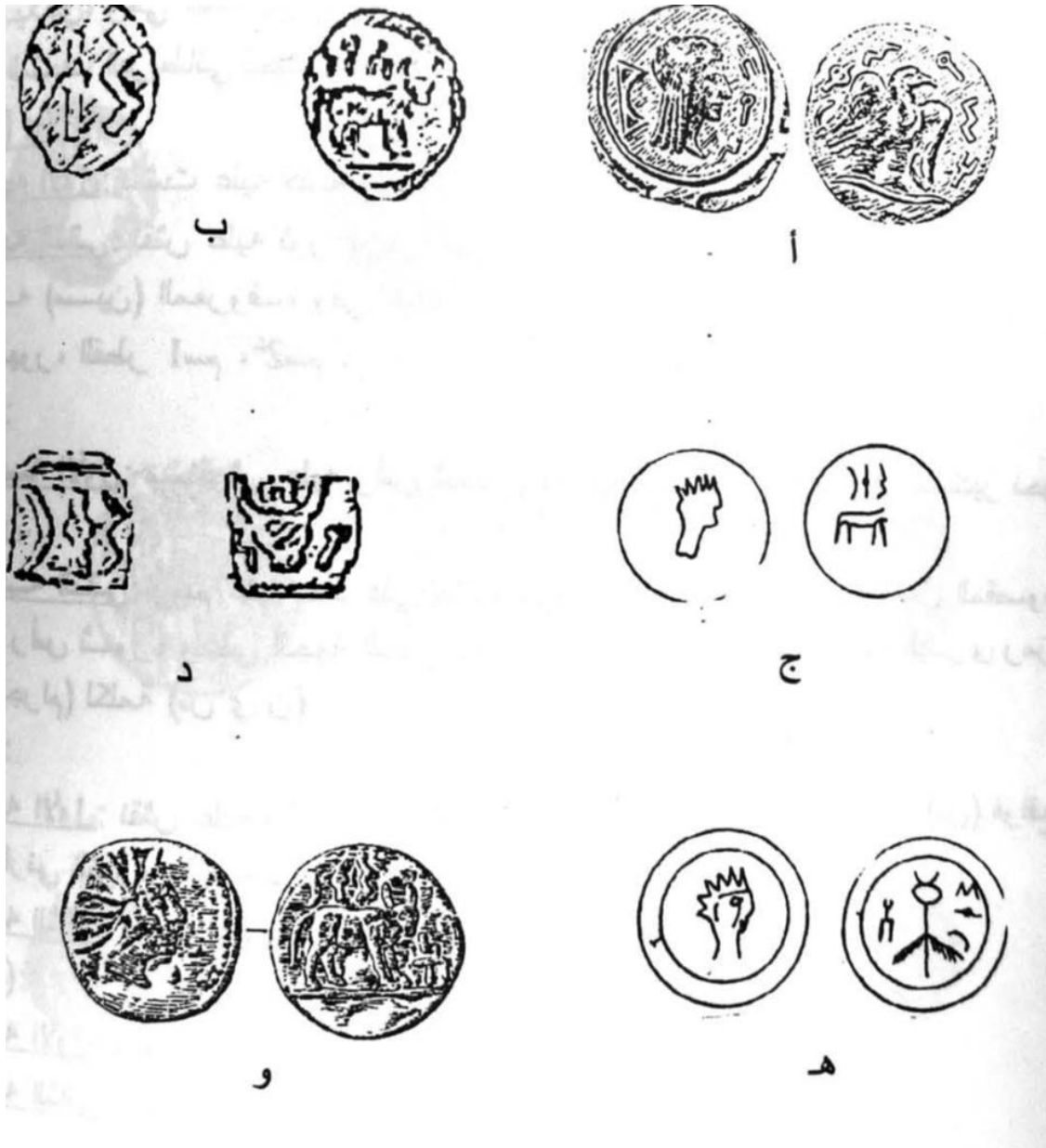
الملحق رقم 04 تمثال من البرونز يحمل لمسات من الفن الهلنستي أنظر: أسمهان سعيد
الجرو، المرجع السابق، ص 88.



الملحق رقم 05: تمثالين لأسدين من البرونز يمتطي كلا منهما طفل (تتقيبات تمنع) أنظر:
أسمهان سعيد الجرو، المرجع السابق، ص 89.



الملحق رقم 06: عملات يمنية ذات تأثير أثيني أنظر: أسمهان سعيد الجرو، المرجع السابق، ص 102.



الملحق رقم 07: عملات حضرمية برونزية أنظر: أسمهان سعيد الجرو، المرجع السابق، ص104.

قائمة المصادر والمراجع

I- المصادر:

- (1) - القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.
- (2) - Strabo, **The Geography of Strabo**, English translation by Horace Leonard joones Harvard University press, London, BK16, Vol V2,ch.4, sec.19,p347.

II- المراجع:

- (3) -أبوالعلاء محمود طه، **جغرافية الجزيرة العربية**، ج1، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، (د.ت).
- (4) - إسماعيل حلمي محروس ، **الشرق العربي القديم وحضارته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.
- (5) - الأثبسط علي عبد الرحمان ، **الاعراب في تاريخ اليمن القديم دراسة من خلال النقوش من القرن الاول ق.م حتي القرن 6م**، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م.
- (6) - الأكوع محمد بن علي الحوالي، **اليمن الخضراء مهد الحضارة**، ط2، مكتبة الجيل الجديد، (د.م.ن)، 1982م.
- (7) - إيدينز كريستوفر و ويلكنسن، ت.ج ، **جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الجيولوجي الحديث للهولوسين**، تر: ياسين محمود الصانعي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء، 2001م.
- (8) - بافقيه محمد عبدالقادر، **تاريخ اليمن القديم**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1935م.
- (9) - بافقيه محمد عبدالقادر ، **توحيد اليمن القديم الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الاول الى قرن الثالث الميلادي**، تر: د.محمد علي زيد، ط1، المعهد الفرنسي في آثار العلوم الاجتماعية، صنعاء، 2007م.
- (10) - بافقيه محمد عبدالقادر ، **في العربية السعيدة**، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء،(د.ت).
- (11) - بافقيه محمد عبد القادر وآخرون، **مختارات من النقوش اليمنية**، المنظمة العربية والثقافة والعلوم، 1975م.

- 12 - باوير.ج. م ولوندين.أ، تاريخ اليمن القديم جنوب الجزيرة العربية في أقدم العصور، تر: أسامة حمدان، ط1، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، 1984م.
- 13 - البكري عبد الله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج4، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
- 14 - بلفقيه عيروس علوي ، جغرافية الجمهورية اليمنية، سلسلة الكتاب الجامعي 3، ط1، جامعة عدن، 1997م.
- 15 - بيستون أ.ف. ل. و وآخرون، المعجم السبئي، مكتبة كتاب ودار شهادات بيتروهان الجديدة، بيروت، 1982م.
- 16 - جاد السيد، بلاد العرب في المصادر اليونانية القديمة(نصوص ودراسات)، ط1، الإسكندرية، 2008م.
- 17
- 18 -الجرو أسمهان سعيد، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، (د.م.ن)، 2003م.
- 19 - الجرو أسمهان سعيد، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ،الاردن، 1996م.
- 20 - جودة حسين جودة، شبه الجزيرة العربية دراسة في الجغرافية الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.
- 21 - حتى فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج1، تر:جورج حداد عبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت،(د.ت).
- 22 - حسن الشيخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م.
- 23 - الحفيان عوض، الجغرافيا العامة للجمهورية اليمنية عوامل التباين والتآلف في البيئة، (د.ن)، صنعاء 1425هـ/2004م.
- 24 - الحمد جواد مطر، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم، ط1، جامعة عدن(عدن) ودار الثقافة العربية(الشارقة)، 2003م.
- 25 - الحموي ياقوت ، معجم البلدان، ج8، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- (26) - الحوراني جورج فضلوا ، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى، تر: يعقوب البكر، مكتبة الأتلجو مصرية و مؤسسة فرانكلين للطباعة، نيويورك، 1964م.
- (27) - ديورانت ول وايرل ، قصة الحضارة، تر: محمد بدران الكتاب التاسع، ج1، مج3، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1955م.
- (28) - سحاب فكتور، إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، ط1، كمبيو نشر والمركز الثقافي العربي، بيروت، 1992م.
- (29) - السروري نبيل عبدالوهاب، الحياة العسكرية في دولة سبأ - دراسته من خلال النقوش محرم بلقيس، سلسلة اصدارات جامعة صنعاء رقم (02)، صنعاء، 2004م.
- (30) - السعيد سعيد بن فايز ابراهيم، العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2004م.
- (31) - سقال ديزيرة، العرب في العصر الجاهلي، ط1، دار الصداقة العربية، بيروت، 1995م.
- (32) - سيدوف الكسندر ودافيد باربارا، سك النقود والمسكوكات - في كتاب اليمن في بلاد مملكة سبأ، تر: بدرالدين عردوكي، معهد العالم العربي (باريس) ودار الأهالي (دمشق)، 1999م.
- (33) - السيد عبد الغني محمد ، شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1999م.
- (34) - شرف أحمد حسن، اليمن عبر التاريخ، ط2، مطبعة المحمدية، (د.م.ن)، 1964م.
- (35) - شهاب حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ط2، دار العودة، بيروت، 1981م.
- (36) - الشيبه عبدالله حسن، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ط1، مكتبة الوعي الثوري، تعز، 1999م.

- (37) - الشيبه عبدالله حسن ، ترجمات يمانية قسم (العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية)، ط1، منشورات دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2008م.
- (38) - الشيبه عبد الله حسن، محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2006م.
- (39) - واثق اسماعيل الصالحي، محاضرات في تاريخ الرومان، ط1، دار الكتاب الجامعي الحديدة 2008م.
- (40) - طقوش محمد سهيل ، تاريخ العرب قبل الاسلام، ط1، دار النفائس، بيروت، 2009م.
- (41) - عباس شهاب محسن و جابر علي السنبراني، مدخل الى جيومورفولوجية اليمن، ط1، مركز عبادي للطباعة والنشر، صنعاء، 1999م.
- (42) - عبدالله يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وأثاره، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م.
- (43) - العسكري أبو هلا الحسن بن عبد الله ، الأوائل، ج1، تح: محمد المصري ووليد قصاب ، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق 1975م.
- (44) - علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الأجزاء 7 و 8 و 2 ، جامعة بغداد، (د.م.ن)، 1993م.
- (45) - العمري هادي صالح، طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م.
- (46) - عنان زيد علي ، تاريخ حضارة اليمن القديم، المطبعة السلفية ومكتبتها، (د.م.ن)، 1396هـ.
- (47) - العودي حمود، المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي-دراسة عن المجتمع اليمني، ط2، (د.ن)، (د.م.ن)، 1989م.
- (48) - فرح أبو اليسر، الشرق الأدنى في العصرين الهلنيسطي والروماني، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2000م.
- (49) - القاضي عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشمالي، اليمن الإنسان والحضارة، ط3، بيروت، 1958م.

- (50) - كريستيان روبان جوليان، التسلسل التاريخي ومشكلاته في كتاب اليمن في كتاب مملكة سبأ، تر: بدر الدين عردوكي، معهد العالم العربي ودار الأهالي، باريس ودمشق، 1999م.
- (51) - محمد أحمد عبد الله ، جغرافية اليمن الطبيعية، ط1، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، صنعاء، 2001م.
- (52) - محيرز، صهاريج عدن، مركز اليمين للأبحاث الثقافية والمتاحف، عدن، 1987م.
- (53) - المسعودي أبوالحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تح: شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية بيروت 1966م.
- (54) - نعمان عبد الله عبد القادر وعبد الباري القدسي، المنشآت المائية وأنظمة الري في الحضارة اليمنية القديمة
- (55) - نيقولا زيادة، دليل البحر الأبيض تجارة الجزيرة العربية في كتاب تاريخ الجزيرة العربية للكتاب الثاني الجزيرة العربية قبل الاسلام، جامعة الملك سعود، الرياض، 1984م.
- (56) - الهمذاني الحسن بن أحمد بن يعقوب، منفذ جزيرة العرب، تح: محمد بن علي بن الحسن الأكوخ، مكتبة الكاتب العربي، الرياض، 1979م.
- (57) - فرترهومل، التاريخ العربي القديم، تر: فؤاد حسين علي، دار النهضة، القاهرة، 1958م.
- (58) - فخري أحمد، دراسات في الشرق القديم، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.م.ن)، (د.ت).
- (59) - محمود محمود عرفة، العرب قبل الإسلام - أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 1995م.
- (60) - مرسي وائل فتحي، المجتمع اليمني القديم دراسته من خلال المناظر والنقوش، كلية الآثار، القاهرة، (د.ت).
- (61) - هيلند ربرت، تاريخ العرب في جزيرة العرب، تر: عدنان حسن، ط1، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، 2010م.

III- مجلات:

- (62) - أبو الغيث عبدالله، النشاط التجاري اليمني القديم وصلاته بالهند، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الاجتماعية والانسانية العدد 06، (د.ت).
- (63) - إدريس جمال الدين محمد، قراءة في عصور ما قبل التاريخ حول نشأة المدينة في مرتفعات اليمن الوسطى، مجلة حولية الآداب كلية الآداب جامعة عدن العدد الرابع ، يوليو 2007م.
- (64) - آغا شاهر جمال، الأقاليم الطبيعية في اليمن، مجلة الدراسات اليمنية، العدد 10، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1982م.
- (65) - الجرو أسهمان سعيد، طرق التجارة البرية والبحرية في اليمن القديم، مجلة جامعة عدن للعلوم الاجتماعية والانسانية، مج2، العدد الثالث، يونيو 1999م.
- (66) - الجرو أسهمان سعيد ، نماذج من مبادئ حقوق الإنسان في الحضارة اليمنية القديمة، مجلة اليمن، مركز البحوث الدراسات اليمنية، جامعة عدن، العدد 24، نوفمبر، 2006م.
- (67) - فان بيك، تاريخ العربية الجنوبية وآثارها، تر: رضا جواد الهاشمي، مجلة التراث المركز اليمني، للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف مجلد2/العدد2- عدن مايو 1978م.
- IV- رسائل جامعية:
- (68) - ناشر هشام عبد العزيز، التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الاول ق.م، رسالة ماجستير قسم التاريخ كلية الآداب، عدن، 2003م.
- (69) - الويس نجيب صالح، العملات اليمنية دراسة تحليلية للعلاقات الخارجية قديما، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الآثار تخصص آثار قديمة، جامعة الجزائر معهد علم الآثار، 2010م.

الفهرس

الصفحة	العنوان
أ	مقدمة
5	١. أصل تسمية اليمن:
8	٢. موقع اليمن
11	٣. التضاريس
11	(1) السهول الساحلية
12	(2) المرتفعات
20	٤. التنوع المناخي
20	(1) الموقع الفلكي
21	(2) التضاريس
22	(3) المسطحات المائية
22	(4) الرياح الضغط الجوي
23	(5) توزيع مناطق الضغط
24	٧. الإطار التاريخي للممالك
24	(1) دولة معين
25	أ) ملوك معين
25	ب) نظام الحكم في معين
25	(2) دولة حضرموت
26	(3) دولة سبأ
28	(4) دولة قنبان
29	(5) دولة حمير
31	١. الطرق البرية الداخلية والخارجية (طرق القوافل)
32	(1) الطرق الداخلية
32	أ) ظفار - قنأ

32	ب) ظفار - حضرموت
32	ج) قنا - شبوة
33	د) شبوة - جرها
33	هـ) شبوة - تمنع
33	و) شبوة - الجوف
34	ز) تمنع - مأرب
34	ح) عدن - مأرب
34	ط) مأرب - الجوف - نجران
34	1) الطرق الخارجية
34	أ) نجران - جرها
34	ب) طريق نحو الشمال والشمال الغربي
35	ج) يثرب - ددان العلا
35	* القوافل
36	II. الملاحة البحرية
37	1) أهم الموانئ والمراكز التجارية
37	أ) ميناء موزي (MUZA) (موزع)
38	ب) ميناء عدن
38	ج) ميناء قناء
38	د) ميناء موشا
39	هـ) سقطرى
39	III. علاقة اليمن مع العالم القديم
39	1) العلاقة مع شرق إفريقيا
40	2) العلاقة مع الهند
40	3) العلاقة مع مصر

42	4) العلاقة مع شبه الجزيرة العربية
43	5) العلاقة مع الحضارة اليونانية والرومانية والهلنستية
43	أ) التأثير اليوناني
43	ب) التأثير الهلنستي والروماني
45	IV. المبادلات التجارية
45	1) الصادرات
45	أ) سلع محلية
45	- النباتات العطرية (اللبان - المر - البخور)
46	- سلع يستخرج منها العقاقير الطبية
47	- سلع تستخدم لأغراض صناعية
48	ب) سلع تجلب من شرق إفريقيا
48	ج) سلع تجلب من الهند وسيلان
48	2) الواردات
52	I. تأثير ودور التجارة عل الوضع السياسي بين الممالك
52	1) التجارة والعلاقات السلمية بين الممالك
53	2) التجارة وعلاقات الصراع والحرب بين الممالك
55	II. تأثير ودور التجارة علي أوضاع الممالك الاقتصادية
55	1) تأثير التجارة علي النشاط الزراعي
55	أ) التأثير المباشر للتجارة
56	أ-1- مهن وأنشطة إرتبطت بظهور نظام القافلة
57	أ-2- مهن وأنشطة إرتبطت بظهور الموانئ وإزدهارها
57	أ-3- مهن وأنشطة إرتبطت بالمراكز التجارية والاسواق
58	ب) التأثير الغير المباشر للتجارة
58	ب-1- في المجال الحرفي

59	ب-2- في مجال تربية الحيوان
60	ب-3- في مجال الضرائب
60	III. تأثير ودور التجارة علي أوضاع الممالك الإجتماعية
61	(1) التعايش بين سكان الممالك
61	(2) التواصل الاجتماعي بين الجاليات في الخارج ومجتمعاتها المحلية
62	(3) المرأة إقتصاديا
63	IV. تأثير ودور التجارة علي الوضع الديني للممالك
65	(1) إصدار القوانين المنظمة للنشاط التجاري في الاسواق
65	أ) قنون قنن التجاري
65	ب) قنون بيع وشراء الحيوانات في صروح
66	ج) قانون منع بيع أو تأجير الاحرار
66	د) قانون بيع الحبوب في مدينة نسق
66	(2) بناء الاسواق ومنشأتها
66	(3) تعبيد الطرق وشق الممرات
67	(4) إستخدام النقود وسكها
68	(5) علاقات الممالك الخارجية وتوظيفها في إدارة النشاط التجاري
71	I. إنتعاش التجارة البحرية وتراجع التجارة البرية
71	(1) الصراعات الدولية من أجل السيطرة على طرق التجارة
71	* أهداف القوي الغربية
72	* أهداف قوي الشرق
74	أ) الصراع الدولي ومحاولات اليونانيين تحقيق تطلعاتهم في الشرق
75	أ-1- محاولة الاسكندر السيطرة على الهند
76	أ-2- ترتيبات الاسكندر للحملة على شبه الجزيرة العربية
81	ب) الصراع الدولي ومحاولات الرومانيين تحقيق طموحاتهم في الشرق

86	(2) تعرف الغربيين على أسرار الملاحة في المحيط الهندي
88	II. العلاقة بين الممالك وموقفها من الوضع الدولي بعد الاسكندر الاكبر
88	(1) وضع الممالك في القرون الثلاثة السابقة للميلاد
93	(2) وضع الممالك في العهد الميلادي
94	أ) تبدل دور الأعراب من المدني الي العسكري
95	ب) الصراعات والحروب بين الممالك
97	ج) التدخل الاجنبي
103	الخاتمة
106	الملاحق
114	المصادر والمراجع
121	الفهرس